3 Tafsir Surah AAl Imraan

Tafsir Bahral ‘uloom

Abul Laith Samarqandi

تفسير بحر العلوم

لابوالليث سمرقندي

سورة آل عمران

This page was prepared for easy on-line reading and for retrieval for research purposes by Muhammad Umar Chand

تفسير الآيات رقم [1- 2]

{الم (1) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (2)}

{الم} قال ابن عباس رضي الله عنهما: أنا الله أعلم {الله} يعني، هو الله الذي {لاَ إله إِلاَّ هُوَ الحى القيوم} الذي لا يموت ولا يزول أبداً.

ويقال الحي الذي لا بادئ له {القيوم} يعني القائم على كل نفس بما كسبت. ويقال: القائم بتدبير الخلق.

وروى الضحاك عن ابن عباس أنه قال: الحي قبل كل حي، والحي بعد كل حي، الدائم الذي لا يموت؛ ولا تنقضي عجائبه، والقائم على العباد بأرزاقهم وآجالهم. ويقال: الحي القيوم هو اسم الله الأعظم. ويقال: إن عيسى ابن مريم عليهما السلام، كان إذا أراد أن يُحيي الموتى، يدعو بهذا الاسم يا حَيُّ يَا قَيّوم. ويقال: إن آصف بن برخيا لما أراد أن يأتي بعرش بلقيس إلى سليمان عليه السلام دعا بقوله يا حَيُّ يا قيوم ويقال: إن بني إسرائيل، سألوا موسى عليه السلام عن اسم الله الأعظم فقال لهم: قولوا اهيا يعني يا حي شراهيا يعني يا قيوم ويقال: هو دعاء أهل البحر إذا خافوا الغرق يدعون به، ثم قال تعالى:

تفسير الآيات رقم [3- 5]

{نَـزَّلَ عَلَيْـكَ الْكِتَـابَ بِـالْحَقِّ مُصَـدِّقًا لِمَـا بَيْنَ يَدَيْـهِ وَأَنْـزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (3) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْـزَلَ الْفُرْقَـانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا بِآَيَـاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَـذَابٌ شَـدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيـزٌ ذُو انْتِقَـامٍ (4) إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (5)}

{نَزَّلَ عَلَيْكَ الكتاب} يعني أنزل عليك جبريل بـالقرآن {بـالحق} أي بالعدل ويقـال لبيـان الحـق {مُصَـدّقاً لّمَـا بَيْنَ يَدَيْـهِ} يعـني موافقـاً للكتب المتقدمـة في التوحيـد، وفي بعض الشـرائع {وَأَنـزَلَ التـوراة والإنجيل * مِن قَبْلُ} يعني أنزل التوراة على موسى، والإنجيـل على عيسى من قبل هذا الكتاب.

وروي عن الفراء أنه قال: اشـتقاق التـوراة من وري الزنـد وهـو مـا يظهر من النور والضياء، فسـمي التـوراة بهـا، لأنـه ظهـر بهـا النـور والضياء لبني إسرائيل، ومن تابعهم، وإنما سمي الإنجيل، لأنه أظهـر الدين بعدما درس، وقد سمي القرآن إنجيلاً أيضاً لما روي في قصـة مناجاة موسى عليه السلام أنه قال: يـا رب أرى في الألـواح أقوامـاً أنـاجيلُهم في صـدورهم، فـاجعلهم أمـتي قـال اللـه تعـالى: هم أمـة محمد صلى الله عليه وسلم. وإنما أراد بالأناجيل القرآن.

قـرأ حمـزة والكسـائي، وابن عـامر التـوراة بكسـر الـراء، والبـاقون بـالفتح ثم قـال تعـالى: {هُـدًى لّلنَّاسِ} معنـاه: وأنـزل التَّورَاة على موسى، والإنجيل على عيسى عليهما السلام، بياناً لبني إسرائيل من الضلالة {وَأَنزَلَ الفرقان} على محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم بعـد التوراة والإنجيل.

وقـال الكلـبي الفرقـان هـو الحلال والحـرام، يعـني بيـان الحلال والحرام. ويقال: المخرج من الشبهات {إِنَّ الذين كَفَرُواْ بأيات الله} أي جحدوا بمحمد صلى اللـه عليـه وسـلم، وبـالقرآن، ومـا أوتي من آيات نبوته {لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ} في الآخرة.

قال الكلبي: نزلت هذه الآية في وفد نجران، قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجادلوه بالباطل. ويقال: في شأن اليهود. ويقال: في شأن مشركي العرب. {والله عَزِيزٌ ذُو انتقام} أي منيع بالنقمة ينتقم ممن عصاه {إِنَّ الله لاَ يخفى عَلَيْهِ شَئ} لا يذهب ولا يغيب عليه شيء {فِي الارض وَلاَ فِى السماء} معناه أنه لا يخفى عليه قول الكفار وعملهم، فيجازيهم يوم القيامة، وهم وفد نجران، وسائر المشركين.

تفسير الآية رقم [6]

{هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (6)}

ثم أخبر عن صنعه، ليعتبروا بذلك فقال تعالى: {هُوَ الذي يُصَوّرُكُمْ فِي الارحام كَيْفَ يَشَاء} أي يخلقكم كيف يشاء قصيراً أو طويلاً، حسناً أو ذميماً، ذكراً أو أنثى.

ويقال: شقيّاً أو سعيداً. وهذا كما روي عن عبد الله بن مسعود أنه قال: الشقي من شقي في بطن أمّه، والسعيد من سعد في بطن أمه ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «الوَلَدُ يَكُونُ في بَطْنِ أُمِّهِ، يكونُ نُطْفَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَصِيرُ عَلَقَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يَصِيرُ مُضْغَةً أَرْبَعِينَ يَوْماً، ثُمَّ يُنْفَخُ فيهِ الرُّوحُ، ثُمَّ يُكْتَبُ شَقِيٌّ أمْ سَعِيدٌ»

وذكر عن إبراهيم بن أدهم أن القراء اجتمعوا إليه، ليسألوا ما عنده من الحديث. فقال لهم: إني مشغول بأربعة أشياء، فلا أتفرغ لرواية الحديث فقيل له: وما ذاك الشغل؟ فقال أحدها: إني أتفكر في يوم الميثاق. حيث قال: هؤلاء في الجنة، ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي، فلا أدري من أي الفريقين كنت في ذلك الوقت. والثاني حيث صوّرني في رحم أمي فقال الملك الموكل على الأرحام: يا رب شقي أم سعيد؟ فلا أدري كيف كان الجواب في ذلك الوقت.

والثالث حيث يقبض روحي ملك الموت فيقول: يا رب أمع الكفار أم مع المؤمنين؟ فلا أدري كيف يخرج الجواب. والرابع حيث يقول: {وامتازوا اليوم أَيُّهَا المجرمون} [يس: 59]، فلا أدري من أي الفريقين أكون. ثم قال تعالى: {لاَ إله إِلاَّ هُوَ} يعني لا خالق ولا مصور إلا هو {العزيز} يعني المنيع بالنقمة لمن جحده {الحكيم} يحكم تصوير الخلق على ما يشاء.

تفسير الآيات رقم [7- 9]

{هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آَيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آَمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ (7) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (8) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (9)}

{هُوَ الذى أَنزَلَ عَلَيْكَ الكتاب} يعني أنزل عليك جبريل بالقرآن {مِنْهُ آيات محكمات} يعني من القرآن آيات واضحات ويقال مبينات بالحلال والحرام. ويقال: ناسخات لم تنسخ قط {هُنَّ أُمُّ الكتاب} يعني أصل كل كتاب، وهي ثلاث آيات من سورة الأنعام وهو قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وبالوالدين إِحْسَاناً وَلاَ تقتلوا أولادكم مِّنْ إملاق نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151] وروي عن ابن عباس أنه سمع رجلاً يقول: فاتحة الكتاب أم الكتاب؟ فقال له ابن عباس: بل أم الكتاب قوله تعالى: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وبالوالدين إِحْسَاناً وَلاَ تقتلوا أولادكم مِّنْ إملاق نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ الفواحش مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ النفس التى حَرَّمَ الله إِلاَّ بالحق ذلكم وصاكم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} [الأنعام: 151] إلى آخر ثلاث آيات الآية.

ثم قال تعالى {وَأُخَرُ متشابهات} قال الضحاك أي منسوخات وقـال الكلبي يعني ما اشتبه على اليهـود كعب بن الأشـرف وأصـحابه ألم، والمص ويقال المحكم ما كان واضحاً لا يحتمـل التأويـل، والمتشـابه الذي يكون اللفظ يشبه اللفظ، والمعنى مختلف.

ويقال: المحكم الذي هو حقيقة اللغـة، والمتشـابه مـا كـان مجـاوزاً. ويقال: المحكمات التي فيها دلالة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والمتشابه الذي اشـتبهت الدلالـة فيـه، فـإن قيـل: إذا أنـزل القـرآن للبيان، فكيف لم يجعل كله، واضحاً؟ قيل: الحكمـة في ذلـك، واللـه أعلم أن يظهر فضل العلماء، لأنـه لـو كـان الكـل واضـحاً، لم يظهـر فضل العلماء بعضهم على بعض. وهكذا يفعل كل من يصنف تصنيفاً يجعل بعضه واضحاً، وبعضه مشكلاً، ويـترك للحـيرة موضـعاً، لأن مـا هان وجوده، قل بهاؤه.

ثم قال تعالى: {فَأَمَّا الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ زَيْـغٌ} يعـني مَيْـل عن الحـق وهم اليهود {فَيَتَّبِعُونَ مَا تشابه مِنْهُ} قال الضـحاك: يعـني مـا نسـخ منـه {ابتغـاء الفتنـة} أي طلب الشـرك واسـتبقاؤه مـا هم عليـه {وابتغاء تَأْوِيلِهِ} أي طلب ثناء هذه الأمـة. ويقـال: طلب وقت قيـام الساعة {وَمَـا يَعْلَمُ تَأْوِيلَـهُ إِلاَّ اللـه} يعـني منتهى ملـك هـذه الأمـة، وذلك أن جماعة من اليهود دخلوا على رسول الله صـلى اللـه عليـه وسلم، وفيهم حيي بن أخطب وغيره، فقـالوا: بلغنـا أنـه نـزل عليـك ألم، فـإن كنت صـادقاً في مقالتـك، فـإن ملـك أمتـك يكـون إحـدى وسبعين سنة، لأن الألـف في حساب الجمـل واحـد، واللام ثلاثـون، والميم أربعون، فنزل {وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ الله}، يعني: منتهى ملـك هـذه الأمـة، ثم قـال تعـالى: {والرسـخون فِي العلم} قـال الكلـبي ومقاتل: استأنف الكلام يعني لمـا قـال {وَمَـا يَعْلَمُ تَأْوِيلَـهُ إِلاَّ اللـه}، فقـد تم الكلام ثم اسـتأنف فقـال: {والرسـخون فِي العلم} أي البالغون العلم في كتبهم التوراة والإنجيل {يَقُولُونَ ءامَنَّا بِـهِ} يعـني القرآن {كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا} ناسخه ومنسـوخه، ومحكمـه ومتشـابهه، وهو عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقال بعضهم: هو معطوف عليه. يقول: وما يعلم تأويله إلا الله، والراسخون في العلم يعني يعلمون تأويله. ويقولون: {بِهِ كُلٌّ مّنْ عِندِ رَبّنَا وَمَا}.

وروى ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه كان يقرأ، وما يعلم تأويله إلا الله، ويقول الراسخون في العلم: آمنا به، وهذا يوافق قول الكلبي ومقاتل. وقال عامر الشعبي: لو كان ابن عباس بين أظهرنا ما سألته عن آية من التفسير، لأني أحلُّ حلاله، وأحرّم حرامه، وأومن بمتشابهه، وأكل ما لم أعلم منه إلى عالمه.

ثم قال تعالى: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الالباب} يعني ما يتعظ بما أنزل من القرآن إلا ذوو العقول من الناس. ثم قال عبد الله بن سلام وأصحابه، حين سمعوا قول اليهود وتكذيبهم: {رَبَّنَا لاَ تُـزِغْ قُلُوبَنَا} يعني لا تُحَوّل قلوبنا عن الهدى {بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا} يعني بعد ما أكرمتنا بالإسلام، وهديتنا لدينك {وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً} يعني ثَبّتْنا على الهدى {إِنَّكَ أَنتَ الوهاب} أي المعطي المثبت للمؤمنين {رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ الناس} بعد الموت {لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ} أي في يوم لا شك فيه عند المؤمنين أنه كائنٌ لا محالة.

{إِنَّ الله لاَ يُخْلِفُ الميعاد} في البعث ويقال معناه {إِنَّ الله لاَ يُخْلِفُ الميعاد} في إجابة الدعاء يعني يوم يجمع الناس في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [10- 11]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ (10) كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ (11)}

ثم قال تعالى {إِنَّ الذين كَفَرُواْ} يعني اليهود ويقال جميع الكفار {لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ} كثرة {أموالهم وَلاَ أولادهم مّنَ الله} شيئاً يعني من عذاب الله {شَيْئاً} في الدنيا إذا نزل بهم شدة أو مرض، ولا

في الآخرة عند نزول العـذاب. ويقـال: كـل مـا لم ينفـق في طاعـة الله، فهو حسرة له يوم القيامة. ويقال: إنمـا ذكـر الأمـوال والأولاد، لأن أكثر النـاس يـدخلون النـار، لأجـل الأمـوال والأولاد، فـأخبر اللـه تعالى أنه لا ينفعهم في الآخرة، لكيلا يفـني النـاس أعمـارهم، لأجـل المـال والولـد، وإنمـا ذكـر اللـه تعـالى الكفـار، لكي يعتـبر بـذلك المؤمنون ثم قال تعالى: {وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النار} أي حطب النار.

قرأ بعضهم وُقُودُ النار بضم الواو، يعني إيقاد النار كما قـال في آيـة أخرى {إِنَّ الـذين كَفَـرُواْ بآياتنـا سَـوْفَ نُصْـلِيهِمْ نَـاراً كُلَّمَـا نَضِـجَتْ جُلُودُهُمْ بدلناهم جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَـذُوقُواْ العـذاب إِنَّ اللـه كَـانَ عَزِيـزاً حَكِيماً} [النساء: 56] قالوا: معناه إذا أرادت النار أن تنطفئ، بدلهم الله جلوداً غيرها لتتقد النـار {كَـدَأْبِ ءالِ فِرْعَـوْنَ} يعـني أن صـنيع الكفار معك، كصنيع آل فرعون مع موسى.

وقـال مقاتـل: كأشـباه آل فرعـون بالتكـذيب بالعـذاب في الـدنيا. ويقال: إهلاك الله إياهم بالقتل، كإهلاك آل فرعون بالغرق.

ويقال تعاونُهم وتظاهرهم فيما بينهم عليك، كتظاهُر آل فرعون على موسى {والذين مِن قَبْلِهِمْ} أي قبل آل فرعون، مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط {كَذَّبُواْ بئاياتنا} أي بدلائلنا وعجائبنـا ويقـال بكتـبي ورسلي كمـا كـذبك قومـك يـا محمـد {فَأَخَـذَهُمُ اللـه بِـذُنُوبِهِمْ} أي أهلكهم وعاقبهم بشركهم {والله شَدِيدُ العقاب} للكافرين.

تفسير الآية رقم [12]

{قُـلْ لِلَّذِينَ كَفَـرُوا سَـتُغْلَبُونَ وَتُحْشَـرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَـادُ (12)}

قوله تعالى {قُل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} قال الضحاك: يعـني كفـار مكـة لمـا ظهـروا يـوم أحـد، فرحـوا بـذلك، فـنزل قولـه تعـالى: {قُـل لِلَّذِينَ كَفَرُواْ} من أهل مكة {سَتُغْلَبُونَ} بعـد هـذا {وَتُحْشَـرُونَ إلى * نَـارُ

جَهَنَّمَ} وقال الكلبي نزلت في شأن بني قريظة وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هزم المشركين يوم بدر، قالت اليهود هذا النبي الأمّي الذي بشرنا به موسى الذي نجده في التوراة، فأرادوا تصديقه ثم قال بعضهم لبعض: لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى له، فلما كان يوم أحد، ونكب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: والله ما هو إياه، فقد تغيّرت صفته وحاله، فشكوا فيه ولم يسلموا، وقد كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة، فنقضوا ذلك العهد، فأنزل الله تعالى: {قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ} وقال عكرمة عن عبد الله بن عباس أنه قال، لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قريشاً يوم بدر، وقَدِم المدينة جمع اليهود في سوق بني قينقاع، فقال: «يا مَعْشَرَ اليَهُودِ، أَسْلِمَوا قَبْلَ أَنْ يُصِيبَكُمُ الله بِمِثْلِ مَا أَصَابَ قُرَيْشاً» قالوا: يا محمد لا تغرنك نفسك. إنك قتلت نفراً من قريش كانوا أغماراً لا يعرفون القتال فإنك لو قاتلنا لعرفت أنّا نحن الناس وأنك لم تلق مثلنا فأنزل الله تعالى {قُلْ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ} يعني تُهْزمون وتُقْهَرون وتُحْشرون بعد القتل إلى جهنم {وَبِئْسَ المهاد} يعني لبئس موضع القرار جهنم. قرأ حمزة والكسائي سَيُغْلبونَ وَيُحشرُون بالياء على معنى الخبر والباقون بالتاء على معنى المخاطبة.

تفسير الآية رقم [13]

{قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ (13)}

ثم قال: {قَدْ كَانَ لَكُمْ ءايَةٌ} يعني عبرة {فِي فِئَتَيْنِ} أي جَمْعَيْن، يعني جَمْع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وجمع كفار أهل مكة {التقتا فِئَةٌ تقاتل فِى سَبِيلِ الله وأخرى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مّثْلَيْهِمْ} قرأ نافع ترونهم على معنى المخاطبة، والباقون بالياء على معنى الخبر، وذكر عن الفراء أنه قال كان الكفار ثلاثة أمثال المسلمين، لأن المسلمين كانوا ثلاثمائة ونيفاً، وكان الكفار تسعمائة ونيّفاً. وقوله: مثليهم أي ثلاثة أمثالهم، والمعنى في ذلك عن طريق اللغة أن الإنسان إذا كان عنده ألف درهم يقول احتاج إلى مثليها، فإنه يحتاج إلى ثلاثة آلاف. وقال الزجاج: هذا القول لا يصح في اللغة، ولا في المعنى، ولكن المسلمين يرونهم مثليهم في العدد، لكي لا يجبنوا، لأنه أعلمهم أن المائة تغلب المائتين، فأراهم في {رَأْىَ العين} أن المشركين مثليهم في العدد، لكي لا يجبنوا، وهذا كما قال في آية أخرى، {وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التقيتم فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فِى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ الله أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور} [الأنفال: 44]، وذلك أن المشركين كانوا تسع مائة، فأرى الله المسلمين أنهم ستمائة، لكي لا يجبنوا، وأرى الكفار أن المسلمين أقل من ثلاثمائة، ثم ألقى مع ذلك في قلوبهم الرعب حتى انهزموا، فكان في ذلك دلالة من الدلالات، فمن قرأ بالتاء على معنى المخاطبة لليهود إن لكم آية وعلامة حيث رأيتم غلبة المسلمين على الكفار مع قلة المسلمين، وكثرة الكفار، فإن قيل: إن اليهود لم يكونوا حضوراً في ذلك الوقت، فكيف يرون ذلك؟ قيل له: إذا انتشر الخبر فهموا، وعلموا ذلك صار كالمعاينة، ولأن لهم جواسيس عند المسلمين يخبرون اليهود بذلك، فصار كأن كلهم رأى ذلك، ومن قرأ بالياء معناه أن المسلمين يرون الكفار مثليهم.

ويقال إن المشركين حين خرجوا من مكة، كانوا ألفاً وثلاثمائة رجل، فلما وجدوا العير سالمة رجع مع العير ثلاثمائة وخمسون، وتخلف تسعمائة وخمسون للحرب، وكان أبو سفيان بن حرب في تلك العير، فرجع إلى مكة، وحثّهم على المسير، ولم يكن حاضراً وقت الحرب، وإنما قال الكلبي في كتابه: نزلت في جمع أبي سفيان وأصحابه، لأن أبا سفيان هو الذي حثهم على الخروج، ولم يخرج

معهم ثم قال تعالى: {والله يُؤَيّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاء} أي يقوي بنصرته، وهم أهل بدر، فأرسل إليهم الملائكة، وهزم المشركين {إِنَّ فِى ذلك لَعِبْرَةً لاِوْلِى الابصار} يعني من ينصر الحق.

تفسير الآيات رقم [14- 17]

{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ (14) قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (15) الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (16) الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ (17)}

{زُيّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشهوات} حُسِّن وحُبِّب إليهم، وقد يكون التزيين من الله تعالى. كما قال في آية أخرى {إِنَّ الذين لاَ يُؤْمِنُونَ بالاخرة زَيَّنَّا لَهُمْ أعمالهم فَهُمْ يَعْمَهُونَ} [النمل: 4] كما قال في آية أخرى {وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ الله وَزَيَّنَ لَهُمُ الشيطان أعمالهم فَصَدَّهُمْ عَنِ السبيل فَهُمْ لاَ يَهْتَدُونَ} [النمل: 24] فأما التزيين من الله تعالى، فهو على وجهين: يكون على جهة الامتحان للمؤمنين مع العصمة، وقد يكون للكفار على جهة العقوبة مع الخذلان، وأما التزيين من الشيطان، فهو على جهة الوسوسة. فقال: زين للناس حب الشهوات {مِنَ النساء والبنين} بدأ بالنساء، لأن فتنة النساء أشد من فتنة جميع الأشياء.

كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما تَرَكْتُ لأُمَّتِي فِتْنَةً أَشَدَّ مِنْ فِتْنَةِ النِّسَاءِ»، ولأن النساء فتنتهن ظاهرة من وقت آدم عليه السلام إلى يومنا هذا.

ويقال: في النساء فتنتان، وفي الأولاد فتنة واحدة: إحداهما أنها تؤدي إلى قطيعة الرحم، لأن المرأة تأمر زوجها بقطيعة الرحم عن

الأمهات والأخوات. والثانية يبتلي بجمـع المـال من الحلال والحـرام، وأما البنـون، فـإن الفتنـة فيهم واحـدة، وهي مـا ابتلي بـه من جمـع المال لأجلهم. فذكر البنين وأراد به الذكور والإناث.

وقـال بعض الحكمـاء: أولادنـا فتنـة إن عاشـوا فتنونـا، وإن مـاتوا أحزنونا.

ثم قال تعالى {والقناطير المقنطرة مِنَ الـذهب والفضـة} روي عن الفـراء أنـه قـال: القنـاطير جمـع قنطـار، والمقنطـرة جمـع الجمـع، فيكون تسع قناطير.

وروي عن أبي عبيـدة أنـه قـال: المقنطـرة مُفَعَّلـة من الـورق. كمـا يقال: ألف مؤلفة، وبذر مبـذرة. ويقـال: المقنطـرة هي المكيلـة، ثم اختلفوا في مقـدار القنطـار، فـروي عن مجاهـد أنـه قـال: القنطـار سبعون ألف دينار. وقال أبو هريرة: القنطار اثني عشر ألـف أوقيـة. وقال معاذ بن جبل: ألف ومائتا أوقية. وقال بعضهم: مِلْءُ مَسْكِ ثَوْرٍ من ذهب. حكاه الكلبي، وقال: هو لغة رومية.

وروي عن الحسن البصري أنه سئل عن القنطار ما هو؟ فقـال: هـو مثل دية أحدكم.

ثم قال تعالى: {والخيل المسومة} يعني الراعيـة كمـا قـال في آيـة أخرى {فِيهِ تُسِيمُونَ} أي ترعون. وهو قول سعيد بن جبير ومقاتل.

وقـال يحـيى بن كثـير: هي السـمينة المصـورة. وقـال أبـو عبيـدة المُعْلَمـة. {والانعـام} يعـني الإبـل والبقـر والغنم {والحـرث} يعـني الزرع، ذكر أربعة أصناف كـل نـوع من المـال يتمـول بـه صـنف من الناس، أما الذهب والفضة، فيتمول به التجار، وأما الخيل المُسَوَّمة، فيتمول بها الملـوك، وأمـا الأنعـام، فيتمـول بهـا أهـل البـوادي وأمـا الحرث فيتمول به أهل الرساتيق، فيكون فتنة كـل صـنف في النـوع الذي يتمول به، وأما النساء والبنين فهي فتنة للجميع.

ثم زهد في ذلك كله، ورغب في الآخـرة فقـال تعـالى: {ذلـك متـاع الحياة الدنيا} أي منفعة الحياة الدنيا تـذهب، ولا تبقى {واللـه عِنـدَهُ حُسْنُ المأب} أي المرجع في الآخرة الجنـة، لا تـزول. ولا تفـنى. ثم بَيّن أن الذي وعد المؤمنين في الآخرة، خير ممـا زين للكفـار فقـال تعالى: {قُلْ أَؤُنَبّئُكُمْ بِخَيْـرٍ مّن ذلكم} أي من الـذي زين للنـاس في الدنيا {لِلَّذِينَ اتقوا} الشرك والفواحش والكبائر. ويقال للذين اتقـوا الزينة، فلا تشغلهم عن طاعة الله {عِندَ رَبّهِمْ جنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار} يعني البساتين تجري من تحت شـجرها، ومسـاكنها الأنهـار، فهو خير من الزينة الدنيوية وما فيها.

وروى أبو سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليـه وسـلم أنـه قـال: «لَشِـبْرٌ فِي الجَنَّةِ خَيْـرٌ مِنَ الـدُّنْيَا وَمَـا فِيهَـا» قـال: {خالـدين فِيهَا} يعـني مقيمين فيهـا أبـداً {وأزواج مُّطَهَّرَةٌ} معنـاه في الخَلْـق والخُلُق، فأما الخَلْقُ فـإنهن لا يَحضـنَ ولا يتمخَّطن، ولا يـأتين الخلاء، وأمـا الخُلُـق، فـإنهن لا يَغِـرْن ولا يحسـدن، ولا ينظـرن إلى غـير أزواجهن {ورضـوان مّنَ اللـه} أي مـع هـذه النعم لهم رضـوان من اللـه، وهـو من أعظم النعم كمـا قـال في آيـة أخـرى {وَعَـدَ اللـه المؤمنين والمؤمنـات جنـات تَجْـرِي مِن تَحْتِهَـا الأنهـار خالـدين فِيهَـا ومساكن طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ ورضوان مِّنَ الله أَكْبَرُ ذلك هُوَ الفـوز العظيم} [التوبة: 72] قرأ عاصم في رواية أبي بكر وَرُضْـوَان بضـم الراء، والباقون بالكسر، وهما لغتان، وتفسيرهما واحد {والله بَصِـيرٌ بالعباد} أي عالم بأعمالهم وثوابهم.

ثم وصفهم فقال تعالى: {الذين يَقُولُـونَ رَبَّنَـا إِنَّنَـا ءامَنَّا} أي صَـدَّقْنَا {فاغفر لَنَا ذُنُوبَنَا} أي: خطايانا التي كانت في الشرك وفي الإسلام {وَقِنَا عَذَابَ النار} يعني ادفع عنـا عـذاب النـار {الصـابرين} يعـني الجنة التي ذكر للذين اتقوا الشرك، وللصابرين الذين يصـبرون على طاعة الله، ويصبرون على المعاصي، ويصبرون على ما أصـابهم من الشدة والمصيبة. {والصادقين} يعـني الصـادقين في إيمـانهم، وفي قلوبهم، وفي وعدهم بينهم وبين الناس، وبينهم وبين الله تعـالى. ثم قال: {والقانتين} يعـني المطيعين للـه تعـالى {والمنـافقين} الـذي

يتصدقون من أموالهم في سبيل الله {والمستغفرين بالاسحار} يعني يصلون لله عند الأسحار. ويقال: يصلون لله بالليل، ويستغفرون عند السَّحَر.

تفسير الآية رقم [18]

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (18)}

{شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إله إِلاَّ هُوَ} يعني أن الله تعالى قَبْل أن يخلق الخلق شهد أن لا إله إلا هو {والملئكة} ولما خلق الملائكة شهدوا بذلك، ثم لما خلق الله المؤمنين شهدوا بمثل ذلك وهم {أُوْلُو * العلم} يعني المؤمنين شهدوا بذلك {قَائِمَاً بالقسط} يعني الله قائماً بالعَدْل على كل نفس. ويقال: من أقرّ بهذه الشهادة على عقد قلبه، فقد قام بالعدل. وقال مقاتل: سبب نزول هذه الآية أن عبد الله بن سلام وأصحابه، قالوا لرؤساء اليهود اتبعوا دين محمد صلى الله عليه وسلم. فقالت اليهود: ديننا أفضل من دينكم. فقال الله عز وجلَّ: {شَهِدَ الله أَنَّهُ لا إله إِلاَّ هُوَ والملائكة وَأُوْلُواْ * العلم} يشهدون بذلك، وأولو العلم بالتوراة يشهدون بذلك، ويشهدون أن الله قائم بالقسط، أي بالعدل، وأن الدين عند الله الإسلام.

قال الكلبي: وفيه وجه آخر وذلك أنه لما ظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، قدم عليه حَبْران من أحبار الشام، فلما نظرا إلى المدينة قال أحدهما لصاحبه: ما أشبه هذه المدينة بصفة مدينة النبي الذي يخرج في آخر الزمان، فلما دخلا عليه قالا له: أنت محمد؟ قال: «نَعَمْ». قالا: وأنت أحمد؟ قال: " أَنا مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ " قالا: أَخْبِرْنا عن أعظم الشهادة في كتاب الله تعالى، فنزلت هذه الآية {شَهِدَ الله}... الخ. فأسلم الرجلان وصدَّقا أن الدين عند الله الإسلام.

وروي عن أبي عبيدة أنه قال: شَهِدَ اللـه يعـني عَلِم اللـه وبَيَّن اللـه، فالله عز وجل دَلَّ على توحيده بجميع ما خلق، فبيّن أنه لا يقدر أحدٌ أن ينشئ شيئاً واحداً مما أنشأ اللـه تعـالى، وشَهِدت الملائكـة بمـا علمت من عظيم قدرته، وشهد أولـو العلم بمـا ثبت عنـدهم، وتـبين من خلقه الذي لا يقدر غيره عليه، وفي هذه الآيـة بيـان فضـل أهـل العلم، لأنـه ذكـر شـهادة نفسـه، ثم ذكـر شـهادة الملائكـة، ثم ذكـر شهادة أهـل العلم. ثم قـال تعـالى: {لا إلـه إِلاَّ هُـوَ العزيـز الحكيم} فشهد بمثل ما شهد من قبل، لتأكيد الكلام.

وروي عن سعيد بن جبير أنه قال: كان حول الكعبة ثلاثمائة وسـتون صنماً، لكل حي من العرب صنم أو صنمان، فلمـا نـزلت هـذه الآيـة، أصبحت تلك الأصنام كلها قد خرت ساجدة.

تفسير الآية رقم [19]

{إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَـا اخْتَلَـفَ الَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَـإِنَّ اللَّهَ سَـرِيعُ الْحِسَابِ (19)}

ثم قال عز وجـل {إِنَّ الـدّينَ عِنـدَ اللـه الإسـلام} قـرأ الكسـائي إِنَّ الدين بالنصب على معنى البناء يعني شـهدوا أنـه لا إلـه إلا هـو، وأَنَّ الدين عند الله الإسلام، والباقون بالكسر على معنى الابتداء، ومعناه إن الـدين المرضـيَّ عنـد اللـه الإسـلام {وَمَـا اختلـف الـذين أُوتُـواْ الكتاب} في هـذا الـدين {إِلاَّ مِن بَعْـدِ مَـا جَـاءهُمُ العلم بَغْيًا بَيْنَهُمْ} يعني بيان أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وهم اليهـود والنصـارى، فلما بعث الله تعالى محمداً، كفروا حسداً منهم، هكـذا قـال مقاتـل. ويقال: إنهم كانوا مسلمين، وكانا يسمّون بذلك، وكان عيسـى عليـه السلام سمى أصحابه مسـلمين، فحسـدتهم اليهـود لمشـاركتهم في الاسم فغيَّروا ذلك الاسم، وسُمُّوا يهوداً، وأما النصـارى فغـيرهم عن ذلك الاسم بولس، وسماهم نصارى، فذلك قوله: {وَمَا اختلف الذين أُوتُواْ الكتـاب إِلاَّ مِن بَعْـدِ مَـا جَـاءهُمُ العلم بَغْيًا بَيْنَهُمْ} يعـني غَيّـروا

الاسم حسداً منهم ثم قال: {وَمَن يَكْفُرْ بِآيات الله فَـإِنَّ اللـه سَـرِيعُ الحساب} لأنه قد جاء في آية أخرى {وَلِلَّهِ غَيْبُ السماوات والارض وَمَآ أَمْرُ الساعة إِلاَّ كَلَمْحِ البصر أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللـه على كُـلِّ شَـئ قَدِيرٌ} [النحل: 77] وقوله: {سَرِيعُ الحساب} يعني سريع المجـازاة ويقال سريع التعريف للعامل عمله، لأنه عـالم بجميـع مـا عملـوا، لا يحتاج إلى إثبات شيء، وتذكر شـيء. ويقـال: إذا حاسـب، فحسـابه سريع يحاسب جميع الخلق في وقت واحد، كل واحد منهم يظن أنـه يحاسبه خاصة.

تفسير الآية رقم [20]

{فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْـلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُـلْ لِلَّذِينَ أُوتُـوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْـلَمُوا فَقَـدِ اهْتَـدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَـا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (20)}

ثم قال تعـالى: {فَـإِنْ حَـاجُّوكَ} أي خاصـموك وجـادلوك في الـدين {فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ للَّهِ} أي أخلصت ديني لله. وقـال الزجـاج: إن الله تعالى أمر نبيه أن يحتج على أهل الكتاب والمشركين، بأنه اتبـع أمر الله الذي هم أجمعـون مقـرون. أنـه خـالقهم ورازقهم، فـأراهم الآيـات والـدلالات بأنـه رسـوله. وقولـه: {أَسْـلَمْتُ وَجْهِىَ للَّهِ} أي قصـدت بعبـادتي اللـه، وأقـررت بأنـه لا إلـه غـيره {و} كـذلك {مِنْ اتبعن} وقال القتبي: معنى أسلمت وجهي لله، يعـني أسـلمت للـه، والوجه زيادة كما قال: كل شيء هالك إلا وجهه، يعني إلا هو {وَقُـلْ لّلَّذِينَ أُوتُواْ الكتاب} يعني أُعْطُوا التَّوْرَاة والإِنْجيل {والاميين} يعـني مشركي العرب {ءأَسْلَمْتُمْ} يعني أخلصتم بالتوحيد. ويقـال: اللفـظ لفظ الاستفهام، والمراد به الأمر، فكأنه يقول أَسْلِمُوا، كما قـال في آية أخرى: فهل أنتم منتهون؟ يعني انتهوا. وقال في آية أخرى: {أَفَلاَ يَتُوبُونَ إلى الله وَيَسْتَغْفِرُونَهُ والله غَفُـورٌ رَّحِيمٌ} [المائـدة: 74]، أي توبوا إلى الله. {فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَـدِ اهتـدوا} يعـني أخلصـوا بالتوحيـد وأسـلموا وصـدقوا بمحمـد صلى اللـه عليـه وسـلم وبالكتـاب، فقـد اهتـدوا من الضـلالة {وَإِن تَوَلَّوْاْ} يقـول إن أَبَـوا أن يُسـلموا {فَإِنَّمَـا

عَلَيْكَ البلاغ} بالرسالة {والله بَصِيرٌ بالعباد} يعني بأعمالهم، ومعناه ليس عليك من عملهم شيء وإنما عليك التبليغ، وقد فَعلتَ ما أمرتَ به.

تفسير الآيات رقم [21- 22]

{إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (21) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآَخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (22)}

{إِنَّ الذين يَكْفُرُونَ بآيات الله} يعني يجحدون بالقرآن وبمحمد صلى الله عليه وسلم {وَيَقْتُلُونَ النبيين بِغَيْرِ حَقّ} يعني يتولون آباءهم بالقتل، ويرضون بذلك.

قرأ حمزة يقاتلون بألف من المقاتلة، والباقون بغير ألف، وقرأ نافع النبيئين بالهمزة. وقرأ الباقون بغير همز {وَيَقْتُلُونَ الذين يَأْمُرُونَ بالقسط مِنَ الناس} يعني بالعدل، وهم مؤمنو بني إسرائيل يأمرونهم بالمعروف، فكانوا يقتلونهم، فعَيَّرهم الله بذلك، وأوعدهم النار فقال: {فَبَشّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} أي وجيع ويقال: أليم يعني مؤلم {أُولَئِكَ الذين حَبِطَتْ أعمالهم} يعني بطل ثواب حسناتهم، فلا ثواب لهم {فِي الدنيا والاخرة وَمَا لَهُم مّن ناصرين} يعني مانعين يمنعونهم من النار.

تفسير الآيات رقم [23- 24]

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ (23) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (24)}

{أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتـاب} يعـني أُعْطُـوا حظـاً من علم التوراة قال مقاتل: نزلت في كعب بن الأشرف، وجماعة منهم حين قالوا؛ نحن أَهْدَى سبيلاً، وما بعث الله رسولاً بعد موسـى عليـه السلام فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «أَنْتُمْ تَعْلَمُـونَ أَنَّ الَّذِي أَقْولُ لَكُمْ حَقٌّ فأَخْرِجُوا التَّورَاةَ»، فأَبَوا. فأنزل الله تعالى هـذه الآية {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتاب} {يُدْعَوْنَ إلى كتـاب اللـــه لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يتـــولى فَرِيـــقٌ مّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُـــونَ} وقـــال الكلـبي: نـزلت في يهـوديين من أهـل خيـبر زَنَيـا، وكـان الحكم في كتابهم الرجم، فاختصموا إلى رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم، فقضى عليهما بالرجم فقالوا: ليس هذا بحكم اللـه، فـدعا بـالتوراة، ودعا بابن صوريا، وكان يسكن فَدَك، وكان أعور، فحلَّفه بالله، فـأقرّ بالقصة، فأنزل الله تعالى {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين أُوتُواْ نَصِيبًا مّنَ الكتـاب يُدْعَوْنَ إلى كتاب الله} الآية. ثم قال: {ذلك} أي ذلك الجـزاء. قـال مقاتل فيها تقديم وتأخير، ومعناه فبشرهم بعذاب أليم {ذلـك بِـأَنَّهُمْ قَـالُواْ لَن تَمَسَّنَا النـار} ويقـال: إنمـا جـزاؤهم خلاف الكتـاب، لأنهم قالوا لن تمسنا النـار {إلا أَيَّامًـا معـدودات} يعـني أربعين يومـاً على عـدد أيـام عبـادة العجـل ويقـال على عـدد أيـام الـدنيا. ويقـال: إن مذهبهم كان مذهب جَهْم، لأنهم لا يـرون الخلـود في النـار {وَغَـرَّهُمْ فِى دِينِهِم} عَفْوُ اللـه عنهم بتـأخير العـذاب {مَّا كَـانُواْ يَفْتَـرُونَ} أي يكذبون على الله، وهو قولهم {وَقَـالَتِ اليهـود والنصـارى نَحْنُ أَبْنَـاءُ الله وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَـقَ يَغْفِـرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَلِلَّهِ مُلْكُ السماوات والارض وَمَا بَيْنَهُمَـا وَإِلَيْهِ المصير} [المائدة: 18]، فذلك قولهم الذي غرهم.

تفسير الآية رقم [25]

{فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيـهِ وَوُفِّيَتْ كُـلُّ نَفْسٍ مَـا كَسَـبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (25)}

ثم خوَّفهم فقال تعالى: {فَكَيْفَ إِذَا جمعناهم} فقال فكيف يصنعون وكيف يحتالون إذا جمعناهم؟ {لِيَوْمٍ لاَّ رَيْبَ فِيهِ} يعني يوم القيامـة، لا شك فيه عند المؤمنين، بأنه كائن {وَوُفّيَتْ كُـلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَـبَتْ} أي وفيت وأُعْطِيَتْ كل نفس ثواب ما عملت {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُـونَ} أي لا يُنْقَصُون من ثواب أعمالهم شيء.

صفحه 8

تفسير الآيات رقم [26- 27]

{قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُـؤْتِي الْمُلْـكَ مَنْ تَشَـاءُ وَتَنْـزِعُ الْمُلْـكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ (26) تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْـرِ حِسَـابٍ (27)}

{قُلِ اللهم مالك الملك} قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن المنافقين، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا فتح مكة قال عبد الله بن أبي رأس المنافقين: إن محمداً يتمـنى أن ينال ملك فارس والروم وأنَّى له ذلك؟ فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم سأل النبي صلى الله عليـه وسـلم ربـه، أن يجعـل لـه ملك فارس والروم في أمته، فعلمه الله بأن يدعو بهذا الدعاء، وهـو قول مقاتل وقال بعضهم: إن النبي صلى الله عليـه وسـلم لمـا أمـر بحفر الخندق، فظهر في الخندق صـخرة عجـزوا عن حفرهـا، فأخـذ النبي صلى الله عليه وسلم المعول، وضرب ضربة، فظهـر من تلـك الصخرة نور فقال له سـلمان: رأيت شـيئاً عجيباً. فقـال لـه النـبي: «هَلْ رَأَيْتَ ذلك»؟ قال: نعم. فقال: رأيت في ذلك النور قصور أهل الشـام، ثم ضـرب ضـربة أخـرى، فظهـر أيضـاً كـذلك. فقـال: رأيت قصـور أهـل فـارس. فقـال رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: «سَيَظْهَرُ لأُمَّتِي مُلْكُ الشَّـامِ، وَمُلْـكُ فَـارِسَ» فقال المنـافقون: إن

محمداً لا يأمن على نفسه، واضطر إلى حفر الخندق، فكيف يتمنى ملك الشام وفارس، فنزلت هذه الآية.

وقال بعضهم إن مشركي مكة قالوا: إن فارس والروم يبيتان في الحرير والديباج، فلو كان هو نبياً، كيف ينام على الحصير؟ فنزلت هذه الآية {قُلِ اللهم مالك الملك تُؤْتِى الملك مَن تَشَاء} وأصل اللهم في اللغة يا الله أمنا بخير، أي اقْصِدْنا بالرحمة، ولكن لما كثر استعمال هذا اللفظ في الناس صارت الكلمتان ككلمة واحدة. فقال: {اللهم}، يعني اللهم يا مالك الملك، {تُؤْتِى الملك مَن تَشَاء} يعني تؤتي محمداً صلى الله عليه وسلم ومن تبعه {وَتَنزِعُ الملك مِمَّن تَشَاء} من فارس والروم {وَتُعِزُّ مَن تَشَاء} يعني أهل الإسلام {وَتُذِلُّ مَن تَشَاء} يعني أهل الشرك والطغيان {بِيَدِكَ الخير} يعني النصرة والغنيمة والعز {إِنَّكَ على كُلّ شَئ قَدِيرٌ} من الذل والعز وقال الضحاك: تؤتي الملك من تشاء، يعني الإسلام، وتعز من تشاء بالإسلام، وتذل من تشاء بالشرك، بيدك الخير، يعني الهداية والسعادة، إنك على كل شيء قدير.

وقال الزَّجَّاج: تؤتي الملك من تشاء، معناه تولي الملك من تشاء أن تؤتيه، وتنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه، إلا أنه حذف الهاء، لأن في الكلام دليلاً عليه. قال مقاتل: وقد قيل في الملك قولان: أحدهما هو المال والعبيد، والآخر من جهة الغلبة بالدين ثم قال تعالى {تُولِجُ اليل فِى النهار} يعني ما نقص من الليل دخل في النهار، حتى يبلغ خمسة عشرة ساعة هو أطول ما يكون، والليل تسع ساعات، وهو أقصر ما يكون {وَتُولِجُ النهار فِى اليل} يعني أن ما نقص من النهار دخل في الليل، حتى يصير الليل خمس عشرة ساعة، والنهار تسع ساعات.

وهو قول الكلبي. ويقال: {تُولِجُ اليل فِى النهار} أي تذهب بالليل، وتجيء بالنهار، وتذهب بالنهار، وتجيء بالليل، هكذا إلى أن تقوم الساعة. ثم قال {وَتُخْرِجُ الحى مِنَ الميت وَتُخْرِجُ الميت مِنَ الحى}

فقـرأ نـافع وحمـزة والكسـائي وعاصـم في روايـة حفص المَيِّت بالتشديد، والباقون المَيْت بالتخفيف، وهما لغتان ومعناهما واحد.

قال الكلبي: يعـني تخـرج البيضـة، وهي ميتـة من الطـير، وهـو حي، وتخرج الطير الحي من البيضـة الميتـة، وتخـرج النطفـة، وهي ميتـة من الإنسان الحي، وتخرج الإنسان الحي من النطفة الميتة، وتخـرج الحبة من السنبلة إلى آخره. وقال الحسن البصري: يخـرج المـؤمن من الكافر، ويخرج الكـافر من المـؤمن. ويقـال: يخـرج الجاهـل من العـالم، ويخـرج العـالم من الجاهـل. وروى معمـر عن الزهـري؛ أن رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم دخـل على بعض نسـائه، فـإذا بامرأة حسنة الهيئة فقال: «مَنْ هذه؟» قـالوا إحـدى خالاتـك. قـال: «وَمَنْ هِيَ؟» قـالوا هي خالـدة بنت الأَسْـوَد بن عَبْـد يغـوث. فقـال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: " سُـبْحَانَ الَّذِي يُخْـرِجُ الحَيَّ مِنَ المَيِّتِ "، وكانت امرأة صالحة، وكـان أبوهـا كـافراً. ثم قـال تعـالى: {وَتَـرْزُقُ مَن تَشَـاء بِغَيْـرِ حِسَـابٍ} يعـني من غـير أن تحاسـب في الإعطاء، فكأنه يقول: ليس فوقه من يحاسبه في الإعطاء. كما قـال تعالى: {لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ} [الأنبياء: 23] ويقال: من غير أن يحاسبه في الإعطاء. ويقال: بغير تقتير. ويقال: بغير حسـاب كما قال ويرزقه من حيث لا يحتسب.

▲ تفسير الآية رقم [28]

{لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُـونَ الْكَـافِرِينَ أَوْلِيَـاءَ مِنْ دُونِ الْمُـؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَـلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَـاةً وَيُحَـذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (28)}

ثم قال تعالى: {لاَّ يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أَوْلِيَاء} قـال ابن عبـاس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن المنافقين عبد اللـه بن أُبيّ ابن سلول وأصحابه من أهل النفاق، وكانوا قـد أظهـروا الإيمـان، وكـانوا يتولون اليهود في العـون والنصـرة، ويـأتونهم بالأخبـار، ويرجـون أن يكون لهم ظفر على محمد صلى اللـه عليـه وسـلم وأصـحابه وقـال

مقاتـل: نـزلت في شـأن حـاطب بن أبي بلتعـة وغـيره، ممن كـانوا يظهرون المودة لكفار مكة، فنهاهم الله تعالى عن ذلـك فقـال: {لاَّ يَتَّخِذِ المؤمنون الكافرين أَوْلِيَاء}، فهذا نهي بلفظ المغايبـة، يعـني لا يتخذونهم أولياء في العون والنصرة {مِن دُونِ المؤمنين وَمَن يَفْعَـلْ ذلك فَلَيْسَ مِنَ الله فِي شَئ} يعني ليس في ولاية اللـه من شـيء. ويقال: ليس في دين الله من شـيء، لأن ولي الكـافر يكـون راضـياً بكفره، ومن كان راضياً بكفره، فهو كافر مثله كقوله تعـالى: {يَأَيُّهَـا الذين ءَامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ اليهود والنصـارى أَوْلِيَـآءَ بَعْضُـهُمْ أَوْلِيَـآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَـوَلَّهُمْ مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللـه لاَ يَهْـدِى القـوم الظـالمين} [امائدة: 51].

ثم اسـتثنى لمـا علم أن بعض المسـلمين، ربمـا يُبْتَلـون في أيـدي الكفـار فقـال تعـالى: {إِلا أَن تَتَّقُـواْ مِنْهُمْ تقـاة}. قـرأ يعقـوب الحضرمي تقية، وقراءة العامة تقاة، ومعناهما واحد، يعـني يرضـيهم بلسانه، وقلبه مطمئن الإيمان، فلا إثم عليه كما قال الله تعـالى في آية أخرى {مَن كَفَرَ بالله مِن بَعْدِ إيمانه إِلاَّ مَنْ أُكْـرِهَ وَقَلْبُـهُ مُطْمَئِنٌّ بالإيمان ولكن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَـدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَـبٌ مِّنَ اللـه وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النحل: 106] قرأ حمزة والكسائي {تقاة} بالإمالـة. وقرأ الباقون بتفخيم الألف ثم قال: {وَيُحَـذِّرُكُمُ اللـه نَفْسَـهُ} يعـني يخوّفكم الله بعقوبته، أي الذي يتخذ الكافر وليّاً بغير ضـرورة، وهـذا وعيد لهم. ويقال: إذا كان الوعيد مبهمـاً، فهـو أشـد ثم قـال تعـالى: {وإلى الله المصير} أي مرجعكم في الآخرة، فيجازيكم بأعمالكم.

▲ تفسير الآيات رقم [29- 30]

{قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَـا فِي صُـدُورِكُمْ أَوْ تُبْـدُوهُ يَعْلَمْـهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَـا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (29) يَوْمَ تَجِـدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَـوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ (30)}

{قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ} يقـول: إن تسـروا مـا في قلـوبكم من النكـوث، وولايــة الكفــار {أَوْ تُبْـدُوهُ} يعـني تعلنـوه للمؤمـنين {يَعْلَمْـهُ اللـه} لأن اللـه عليم {وَيَعْلَمُ مَـا فِى * السـموات وَمَـا فِي الارض} من عمل، فليس يخفى عليه شيء {واللـه على كُـلّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ} من السر والعلانية، والعذاب والمغفرة قـدير {يَـوْمَ تَجِـدُ كُـلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ} في الـدنيا {مِنْ خَيْـرٍ مُّحْضَـرًا} يعـني تجـد ثوابـه حاضـراً، ولا ينقص من ثـواب عملـه شـيء {وَمَـا عَمِلَتْ مِن سُـوء} يعني من شر في الدنيا {تَـوَدُّ لَـوْ أَنَّ بَيْنَهَـا وَبَيْنَـهُ أَمَـدَا بَعِيـدًا} يعـني تتمنى النفس أن تكون بينها، وبين ذلـك العمـل أجلاً بعيـداً، كمـا بين المشرق والمغرب، ولم تعمل ذلك العمل قـط ثم قـال: {وَيُحَـذِّرُكُمُ الله نَفْسَهُ} أي عقوبته في عمل السوء {والله رَءوفٌ بالعباد} قــال ابن عباس: يعني بالمؤمنين خاصة، وهو رحيم بهم.

ويقـال: رؤوف بالـذين يعملـون السـوء، حيث لم يعجّـل بعقـوبتهم. ويقال: ذكر في أول هذه الآية عدله عز وجل في قولـه: {يَـوْمَ تَجِـدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا}، وفي وسطها تخويـف وتهديـد وهو قوله {وَيُحَذِّرُكُمُ الله نَفْسَـهُ} وفي آخرهـا ذكـر رأفتـه ورحمتـه وهو قوله {والله رَءوفٌ بالعباد}.

▲ تفسير الآيات رقم [31- 32]

{قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَـاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِـرْ لَكُمْ ذُنُـوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (31) قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ (32)}

ثم قال: {قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ الله} وذلك أن رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم دعا كعب بن الأشرف وأصحابه إلى الإسلام، قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، يعني نحن في المنزلة بمنزلة الأبناء، ولنحن أشـدّ حباً لله. فقال الله لنبيه: قل إن كنتم تحبون الله تعالى: {فاتبعونى} على ديني، فإني رسول الله أؤدي رسالته {يُحْبِبْكُمُ الله}.

قال الزجاج: تحبون الله، أي تقصدون طاعته، فافعلوا ما أمركم الله عز وجل، لأن محبة الإنسان لله وللرسول طاعته له، ورضاه بما أمر، والمحبة من الله عفوه عنهم، وإنعامه عليهم برحمته. {وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ والله غَفُورٌ رَّحِيمٌ} ويقال: الحب من الله عصمته وتوفيقه، والحب من العباد طاعة كما قال القائل:

تَعْصي الإله وَأَنْتَ تُظْهِرُ حُبَّه *** هَذَا لَعَمْرِي في القِيَاسِ بديعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَه *** إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطيعُ

فلما نزلت هذه الآية قالوا: إن محمداً يريد أن نتخذه حناناً، كما اتخذت النصارى عيسى حناناً فنزلت هذه الآية: {قُلْ أَطِيعُواْ الله والرسول} فقرن طاعته بطاعة رسوله رغماً لهم، ويقال: أطيعوا الله فيما أنزل، والرسول فيما بَيّن {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني إن أعرضوا عن طاعتهما {فَإِنَّ الله لاَ يُحِبُّ الكافرين} أي لا يغفر لهم.

تفسير الآية رقم [33]

{إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آَدَمَ وَنُوحًا وَآَلَ إِبْرَاهِيمَ وَآَلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (33)}

{إِنَّ الله اصطفى آدَمَ وَنُوحًا وَءالَ إبراهيم} يعني اختاره ويقال: اختار دينه، وهو دين الإسلام.

ويقال: قد اختاره لخمسة أشياء: أولها أنه خلقه بأحسن صورة بقدرته. والثاني أنه علّمه الأسماء كلها. والثالث أنه أمر الملائكة أن يسجدوا له. والرابع أسكنه الجنة. والخامس جعله أباً للبشر، واختار نوحاً عليه السلام بخمسة أشياء: أولها أنه جعله أباً للبشر، لأن الناس كلهم غرقوا، فصارت ذريته هم الباقين. والثاني أنه أطال عمره. ويقال: طُوبَى لِمَنْ طَالَ عُمرهُ، وحَسُن عَمَلُهُ. والثالث أنه استجاب دعاءه على الكفار والمؤمنين. والرابع أنه حمله على

السفينة. والخامس أنه كان أول من نسخ الشرائع، وكان قبل ذلك لم يحرم تزوج الخالات والأخوات والعمات، واختار آل إبراهيم عليه السلام بخمسة أشياء: أولها أنه جعله أبا الأنبياء، لأنه روي أنه خرج من صلبه ألف نبي من زمانه إلى زمان النبي صلى الله عليه وسلم. والثاني أنه اتخذه خليلاً، والثالث أنه أنجاه من النار والرابع أنه جعله للناس إماماً، والخامس أنه ابتلاه الله بخمس كلمات، بكلمات، فوفقه حتى أتمَّهن ثم قال: {إِنَّ الله} قال مقاتل: يعني به أبا موسى وهارون. وقال الكلبي: هو عمران أبو مريم، وهو من ولد سليمان النبي عليه السلام فإنه أراد به آل موسى وهارون، إنما كان اختارهما على العالمين، حيث بعث على قومه المن والسلوى، ولم يكن ذلك لأحد من الأنبياء في العالم، وإن أراد به أبا مريم، فإنه اصطفى آله، يعني مريم بولادة عيسى عليه السلام بغير أب، ولم يكن ذلك لأحد في العالم. وقال الكلبي: يعني اختار هؤلاء الذين ذكروا في هذه الآية {عَلَى العالمين} يعني عالمي زمانهم.

تفسير الآيات رقم [34- 37]

{ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (34) إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (35) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (36) فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (37)}

ثم قال تعالى: {ذُرّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ} أي بعضهم على إثر بعض. ويقال: بعضهم على دين بعض. {والله سَمِيعٌ} لقولهم عليم بهم وبدينهم. ويقال: قوله {والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ}، انصرف إلى ما بعده، أي سميع بقول امرأة عمران {إِذْ قَالَتِ امرأت عمران} وهي حنة أم مريم امرأة عمران بن ماثان، وذلك أنها لما حبلت، قالت: لئن

نجَّانِي الله ووضعت مـا في بطـني لأجعلنـه محـرَّراً، والمحـرر من لا يعمل للدنيا، ولا يتزوج، ويتفرغ لعمل الآخرة، ويلزم المحراب، فيعبد الله تعالى فيه، وهذا قول مقاتل.

وقال الكلبي: محرراً، أي خادماً لبيت المقـدس، ولم يكن محـرراً إلا الغلمان. فقال لهـا زوجهـا: إن كـان الـذي في بطنـك أنـثى، والأنـثى عورة، فكيف تصنعين؟ فـاهتمت بـذلك وقـالت: يـا {رَبِّ إِنِّي نَـذَرْتُ لَكَ} وأنت تعلم {مَا فِي بَطْنِي مُحَـرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السـميع العليم} السميع لدعائي العليم بنيتي، وما في بطني {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا} أي ولدت فإذا هي أنثى {قَالَتْ رَبِّ إِنِّى وَضَعْتُهَا أنثى} يعـني ولـدتها جارية {والله أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ} قرأ ابن عامر وعاصم في رواية أبي بكـر، واللـه أعلم بمـا وَضَـعْتُ، بجـزم العين، وضـم التـاء، يعـني أن المرأة قالت: والله أعلم بما وَضَعْتُ، والباقون بنصب العين وسكون التاء، فيكون هذا قول الله إنه يعلم بما وضعت تلك المـرأة. ثم قـال تعالى: {وَلَيْسَ الذكر كالانثى} في الخدمة.

قال بعضهم: هذا قول اللـه لمحمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، وليس الذكر كالأنثى يا محمد. وقال بعضهم: هي كلمة المرأة، أنهـا قـالت: وليس الذكر كالأنثى في الخدمة. وقـال مقاتـل: فيهـا تقـديم، فكأنـه يقول: قالت رب إني وَضعَتُهَا أُنْثى، وليس الذكر كالأنثى، واللـه أعلم بمـا وضـعت، ثم قـالت: {وَإِنّى سَـمَّيْتُهَا مَـرْيَمَ} يعـني خـادم الـرب بلغتهم {وِإِنّى أُعِيذُهَا بِكَ} يعني أعصمها وأمنعهـا بـك {وَذُرّيَّتَهَـا} إن كـان لهـا ذريـة {مِنَ الشـيطان الـرجيم} يعـني الملعـون. ويقـال: المطرود من رحمة الله. ويقال: الرجيم بمعنى المرجـوم كمـا قـال: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا السمآء الدنيا بمصابيح وجعلناها رُجُوماً للشياطين وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السعير} ر ز س [الملك: 5].

حدثنا أبو الليث، قال: حدثنا الخليل بن أحمد القاضي. قال: حدثنا أبو العباس قال: حدثنا إسحاق بن إبراهيم قال: حـدثنا عبـد الـرزاق عن معمر عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أنـه قـال: «مَـا مِنْ مَوُلُـودٍ يُولَـدُ إلاَّ

والشَّـيْطَانُ يَنْخَسُـهُ حِينَ يُولَـدُ، فَيَسْـتَهِلُّ صَـارِخَاً مِنْ الشَّـيْطَانِ، إلاَّ مَرْيَمَ وَابْنَها عِيسَـى عَلَيْهِمـا السَّـلامُ»، قـال أبـو هريـرة: اقـرؤوا إن شـئتم: {وإِنّى أُعِيـذُهَا بِـكَ وَذُرّيَّتَهَـا مِنَ الشـيطان الـرجيم} وقـال الزجاج: معنى قوله {إِذْ} يعني إن الله اختار آل عمـران، {إِذْ قَـالَتِ امرأت عمران}: واصطفاهم، إذ قالت الملائكة.

وقال أبو عبيدة: معناه قالت امرأة عمـران، وقـالت الملائكـة و«إذ» زيادة. وقال الأخفش: معناه واذكر إذ قالت امرأة عمـران، واذكـر إذ قالت الملائكة، وقال أهل اللغة: المحـرر والعـتيق في اللغـة بمعـنى واحد، ثم إن حنة لفتها في خرق، ثم وضعتها في بيت المقـدس عنـد المحراب، فاجتمعت القراء، أي الزهاد فقال زكريا: أنا أحق بهـا، لأن خالتها عنـدي. فقـال القُـرّاء: إن هـذه محـررة، فلـو تـركت لخالتهـا، فكـانت أمهـا أحـق بهـا، ولكن نتسـاهم، فخرجـوا إلى عين سـلوان، فألْقَوْا أقلامهم في النهـر. قـال بعضـهم: كـانت أقلامهم من الشَّـبَّة، فغابت أقلامهم في المـاء، وبقي قلم زكريـا على وجـه المـاء. وقـال بعضهم كـانت أقلامهم من قَصَـب، فبقيت أقلامهم على وجـه المـاء، وغاب قلم زكريا في الماء. وقال بعضـهم: ألْقَـوْا أقلامهم في النهـر، فسال الماء بأقلامهم إلا قلم زكريا، فإنـه جـرى من الجـانب الأعلى، فعلموا أن الحق له، فضمّها إلى نفسه فذلك قوله تعـالى: {فَتَقَبَّلَهَـا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ} أي تقبل منها نَذْرها {وَأَنبَتَهَـا نَبَاتًـا حَسَـنًا} وقـال مجاهد غذاها غذاءً حسناً، ورباها تربيـة حسـنة {وَكَفَّلَهَـا زَكَرِيَّا} قـرأ حمزة وعاصم والكسائي بالتشديد، أي كفلها اللـه إلى زكريـا. وقـرأ الباقون بالتخفيف، أي ضمها زكريا إلى نفسه، وقـرأ حمـزة وعاصـم والكسائي في رواية حفص زكريا بغير إعـراب، وجـزم الألـف. وقـرأ الباقون بالإعراب والمد، وهمـا لغتـان معروفتـان عنـد العـرب، فمن قرأ كفلها بالتشديد، قرأ زكريا بنصب الألف، لأنه يصير مفعـولاً، ومن قرأ كفلها بالتخفيف قرأ زكريا برفع الألف على معنى الفاعل.

وذكر في الخـبر أن زكريـا بـنى لهـا محرابـاً في غرفـة، وجعـل بـاب الغرفة في وسط الحائط، لا يصعد إليهـا إلا بسـلم، واسـتأجر ظـئراً، فكان يغلق عليها البـاب، وكـان لا يـدخل عليهـا أحـد إلا زكريـا حـتى

كبرت، فإذا حاضت أخرجها إلى منزله، فتكـون عنـد خالتهـا، وكـانت خالتها امرأة زكريا. وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل: كانت أختها امرأة زكريا، وكانت إذا طهرت من حيضها، واغتسلت ردها إلى المحراب. وقال بعضهم: كانت لا تحيض، وكـانت مطهرة من الحيض، وكان زكريا إذا دخل عليها في أيام الشتاء، رأى عندها فاكهة الصيف، وإذا دخل عليها في أيـام الصـيف، وجـد عنـدها فاكهة الشتاء، وكانت الحكمة في ذلـك أن لا يـدخل في قلب زكريـا شيء من الريبة، إذا رأى الفاكهة في غير أوانها، وعلم أنه لم يـدخل عليها أحد من الآدميين، فذلك قوله تعالى: {كُلَّمَـا دَخَـلَ عَلَيْهَـا زَكَرِيَّا المحـراب وَجَـدَ عِنـدَهَا رِزْقًـا} ويقـال: المحـراب في اللغـة أشـرف المجالس، وهو المكان العالي، وقد قيل: إن مساجدهم كانت تسمى المحاريب ف {قَالَ} لها زكريا {قَـالَ يـامريم أنى لَـكِ هـذا} يعـني: من أين لك هذا؟ فإنـه لا يـدخل عليـك أحـد غـيري {فَقَـالَتْ} مـريم {هُوَ} أي هذا الرزق {مِنْ عِنـدِ اللـه} أي من فضـل اللـه {إنَّ اللـه يَـرْزُقُ مَن يَشَـاء بِغَيْـرِ حِسَـابٍ} في غـير حينـه. ويقـال: من حيث لا يحتسب.

تفسير الآية رقم [38]

{هُنَالِـكَ دَعَـا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَـالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَـدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَـةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ (38)}

{هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ} يقول عند ذلك طمع في الولـد، وكـان آيسـاً من ذلك، وكان مفاتيح بيت القربان عند آبائه، وقـد صـار ذلـك بيـده، وكان يخشى أن يخرج من أهل بيتـه إذا مـات. فقـال عنـد ذلـك: إن الله قادر على أن يأتيها بـرزق الشـتاء في الصـيف، وبـرزق الصـيف في الشـتاء، فهـو قـادر أن يـرزق لي الولـد بعـد الكـبر فـذلك قولـه تعـالى: {هُنَالِـكَ دَعَـا زَكَرِيَّا رَبَّهُ} {قَـالَ رَبّ هَبْ لِى مِن لَّدُنْكَ} أي من عندك {ذُرّيَّةً طَيّبَةً} أي من عندك تقية مهذبة. ويقـال: مسـتوي

الخلق. ويقال: مسلمة مطيعة. ويقال: تقية {إِنَّكَ سَمِيعُ الدعاء} أي مجيب له.

تفسير الآيات رقم [39- 40]

{فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (39) قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ (40)}

{فَنَادَتْهُ الملئكة وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلّى فِى المحراب} قرأ حمزة والكسائي بالياء، أي جبريل عليه السلام وإنما صار مذكراً على معنى الجنس، كما يقال: فلان ركب السفن، وإنما ركب سفينة واحدة، وقرأ الباقون، فنادته على معنى التأنيث، لأن اللفظ لفظ الجماعة، والمراد به أيضاً جبريل {أَنَّ الله يُبَشّرُكَ بيحيى} قرأ حمزة وابن عامر: إن الله يبشرك، بكسر الألف، ومعناه: فنادته الملائكة. وقالوا له: إن الله يبشرك. وقرأ الباقون بالنصب، ومعناه: فنادته الملائكة، بأن الله يبشرك بيحيى قال مقاتل: اشتق اسمه من اسم الله تعالى، والله تعالى حي، فسماه الله تعالى يحيى، ويقال: لأنه أحيا به رحم أمه. ويقال: لأنه حي به المجالس. ويقال غير ذلك {بيحيى}، بأن الله يحييه، فيكون حياً عند الله أبداً، لأنه شهيد قال الله تعالى: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله أمواتا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ} [آل عمران: 169] ثم قال تعالى: {مُصَدّقاً بِكَلِمَةٍ مّنَ الله} يعني بعيسى عليه السلام وكان يحيى أول من صدق بعيسى عليهما السلام، وهو ابن ثلاث سنين، فشهد له أنه كلمة الله وروحه، فلما شهد بذلك يحيى، عجب بنو إسرائيل لصغره، فلما شهد سمع زكريا شهادته، فقام إلى عيسى، فضمه إليه، وهو في خرقه، وكان يحيى أكبر من عيسى بثلاث سنين. وقال بعضهم صدقه وهو في بطن أمه، كانت أم يحيى عند مريم، إذ سجد يحيى بالتحية لعيسى، وكل واحد منهما كان في بطن أمه، وذلك قوله مصدقاً بكلمة من الله {وَسَيّدًا} يعني حكيماً {وَحَصُورًا} يعني لا

يأتي النساء، وهو قول الكلبي. وقـال سـعيد بن جبـير: السـيد الـذي يملك غضبه، والحصور الذي لا يأتي النساء.

وقال مقاتل: يعـني لا مـاء لـه، يعـني أن يحـيى لم يكن لـه مـاء في الصلب. وقال بعضهم: هذا لا يصح، لأن العنة عيب بالرجـال، والنـبي لا يكن معيباً، ولكن معناه أنـه كـان مانعـاً نفسـه من الشـهوات، لأن الذي يمنع نفسه من الشهوات مـع قدرتـه، كـانت فضـيلته أكـثر من الذي لا قدرة لـه، ثم قـال تعـالى: {وَنَبِيّـا مّنَ الصـالحين} يعـني أن يحيى كان نبياً من الصالحين، فلما بشره جبريل بذلك {قَالَ رَبّ أنى يَكُونُ لِي غلام} قـال ذلـك على وجـه التعجب، لا على وجـه الشـك، قال لجبريل: رب أي يا سـيِّدي من أين يكـون لي غلام؟ يعـني ولـد، وهذا قول الكلبي.

وقال بعضهم قوله رب، يعني قال: يا الله على وجـه الـدعاء، يـا رب من أين يكون لي ولـد؟ {وَقَـدْ بَلَغَنِي الكـبر} قـال القتـبي: هـذا من المقلوب، يعني بلغت الكبر. وقال الكلبي: كان يوم بشر ابن تسعين سنة، وامرأته قريبة في السن منـه. وقـال الضـحاك: كـان ابن مائـة وعشرين سنة، فذلك قوله، {وَقَدْ بَلَغَنِي الكبر} أي الهرم {وامرأتى عَاقِرٌ} لا تلد {قَالَ كذلك} قال بعضهم: تم الكلام عند قولـه كـذلك، يعني هكذا كما قلت: إنـه قـد بلغـك الكـبر، وامرأتـك عـاقر ثم قـال تعالى: {الله يَفْعَلُ مَا يَشَاء} وقال بعضهم: معناه. قال: كذلك يعـني الله تعالى هكذا قال: أنه يكون لـك ولـد، واللـه يفعـل مـا يشـاء، إن شاء أعطاك الولد في حال الصغر، وإن شاء في حال الكبر.

تفسير الآية رقم [41]

{قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آَيَةً قَالَ آَيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَـةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْـزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ (41)}

ثم قال تعالى: {قَالَ رَبّ اجعل لّى ءايَةً} يعني اجعل لي علامة حين حملت امـرأتي أعـرف {قَـالَ رَبّ} يعـني علامـة الحبـل {أَلاَّ تُكَلّمَ

الناس ثلاثة أَيَّامٍ} يعني أنك تصبح، فلا تطيق الكلام ثلاثة أيام {إِلاَّ رَمْزًا} أي كلاماً خَفِيّاً. ويقال: الرمز بالشفتين والحاجبين، والإيماء باليد والرأس.

قال بعضهم: كان منع الكلام عقوبة له، لأنه بُشِّر بالولد، فسأل آية فحبس الله لسانه عن الناس ثلاثة أيام، ولم يحبسه عن ذكر الله، وعن الصلاة. وقال بعضهم: لم يكن عقوبة، ولكن كانت كرامة له، حين جعلت له علامة لظهور الحبل، ومعجزة له. وروى أسباط عن السدي أنه قال: لما بُشِّر بيحيى قال له الشيطان: إن النداء الذي سمعت بالبشارة من الشيطان، ولو كان من الله، لأوحى إليك، كما أوحى إلى سائر الأنبياء. فقال عند ذلك: اجْعَل لِي آية، حتى أعلم أن هذه البشارة منك. قال: {أَلاَّ تُكَلِّمَ الناس ثلاثة أَيَّامٍ إِلاَّ}.

وقال في آية أخرى: {قَالَ رَبِّ اجعل لِى ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ الناس ثلاث لَيَالٍ سَوِيّاً} [مريم: 10]، يعني أنك مستوي الخَلْق، ولا علة بك، ثم أمره بذكر ربه، لأن لسانه لم يمنع عن ذكر الله تعالى فقال: {واذكر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبّحْ بالعشى والإبكار} يعني بالغداة والعَشِيِّ ويقال بالليل والنهار.

تفسير الآيات رقم [42- 43]

{وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ (42) يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (43)}

{وَإِذْ قَالَتِ الملئكة} يعني جبريل {الملئكة يامريم إِنَّ الله اصطفاك} يعني اختارك بالإسلام {وَطَهَّرَكِ} من الذنوب والفواحش. ويقال: من دم الحيض والنفاس {واصطفاك على نِسَاء العالمين} يعني بولادة عيسى بغير أب.

وقال بعضهم: اصطفاك أي فضلك على نساء العالمين يعني عـالمي زمانها {العالمين يامريم اقنتى لِرَبّكِ} يعـني أطيعي. ويقـال: أطيلي القيام في الصلاة. وقـال مجاهـد: قـامت في الصـلاة حـتى تـورَّمَتْ قـدماها، ونحـل جسـمها. ثم قـال تعـالى: {واسـجدى واركعى مَـعَ الركعين} أي مع المسلمين، يعني مع قراء بيت المقدس.

تفسير الآيات رقم [44- 51]

{ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَـدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُـونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُـلُ مَـرْيَمَ وَمَـا كُنْتَ لَـدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِـمُونَ (44) إِذْ قَـالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْـهُ اسْـمُهُ الْمَسِـيحُ عِيسَـى ابْنُ مَـرْيَمَ وَجِيهًـا فِي الـدُّنْيَا وَالْآخِـرَةِ وَمِنَ الْمُقَـرَّبِينَ (45) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْـدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّـالِحِينَ (46) قَـالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُـونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَـاءُ إِذَا قَضَـى أَمْـرًا فَإِنَّمَـا يَقُـولُ لَـهُ كُنْ فَيَكُـونُ (47) وَيُعَلِّمُـهُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (48) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَـأَنْفُخُ فِيـهِ فَيَكُـونُ طَيْـرًا بِـإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْـرِئُ الْأَكْمَـهَ وَالْأَبْـرَصَ وَأُحْيِي الْمَـوْتَى بِـإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَـةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ (49) وَمُصَـدِّقًا لِمَـا بَيْنَ يَـدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِـلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (50) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (51)}

قوله {ذلك مِنْ أَنبَاء الغيب} يعني الذي ذكر في هذه الآية من قصة زكريـاً ومـريم من أخبـار الغيب، ممـا غـاب عنـك خـبره، ولم تكن حاضراً، وفي الآية دليل نبـوة محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم، حيث أخبر عن قصة زكريا ومريم، ولم يكن قـرأ الكتب، وأخـبر عن ذلـك، وصدقه أهل الكتاب بذلك، فذلك قوله تعالى: {ذلك مِنْ أَنبَـاء الغيب نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ} يعـني لم تكن عنـدهم، وإنمـا تخـبر عن الوحي. فقال: {وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُون أقلامهم أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ} يعـني يطرحـون أقلامهم في النهـر بالقرعـة {وَمَـا كُنتَ لَـدَيْهِمْ إِذْ

يَخْتَصِمُونَ} في أمر مريم {إِذْ قَالَتِ الملئكة يـامريم} يعـني جبريـل عليه السلام وحده {إِنَّ الله يُبَشّرُكِ بِكَلِمَةٍ مّنْـهُ} قـرأ نـافع وعاصـم وابن عامر {يُبَشّرُكِ} بالتشديد في جميع القرآن.

وقرأ ابن كثير، وأبـو عمـرو بالتشـديد في جميـع القـرآن إلا في حم، عسق {ذَلِكَ الذى يُبَشِّرُ الله عِبَادَهُ الذين ءَامَنُواْ وَعَمِلُـواْ الصـالحات قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ المودة فِى القـربى وَمَن يَقْتَـرِفْ حَسَـنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْناً إِنَّ الله غَفُورٌ شَـكُورٌ} [الشـورى: 23] بـالتخفيف، وقرأ حمزة بالتخفيف إلا في قوله {قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِى على أَن مَّسَّنِىَ الكبر فَبِمَ تُبَشِّرُونَ} [الحجر: 54] ووافقه الكسائي في بعضها، فمن قـرأ بالتشـديد، فهـو من المباشـرة، ومن قـرأ بـالتخفيف، فمعنـاه يفرحـك، وكـانت قصـة البشـارة أن مـريم لمـا طهـرت من الحيض، ودخلت المغتسل كمـا قـال في سـورة مـريم، {واذكـر فِى الكتـاب مَرْيَمَ إِذِ انتبذت مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَـرْقِياً} [مـريم: 16]، يعـني أرادت أن تغتسـل في جنب المشـرفة، فلمـا دخلت المغتسـل، رأت بشـراً كهيئة الإنسان كمـا قـال {فاتخـذت مِن دُونِهِم حِجَابـاً فَأَرْسَـلْنَآ إِلَيْهَـآ رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} [مريم: 17]، فخافت مريم، ثم قـالت: {قَـالَتْ إنى أَعُـوذُ بـالرحمن مِنـكَ إِن كُنتَ تَقِيّـاً} [مـريم: 18]، لأن التقي يخاف الرحمن. فقال لها جبريل: {قَـالَ إِنَّمَـآ أَنَـاْ رَسُـولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غلاما زَكِيّاً} [مريم: 19]، وذكرها هنـا بلفـظ آخـر. ومعنـاه واحد قال: {إِذْ قَالَتِ الملائكـة يـامريم إِنَّ اللـه يُبَشِّـرُكِ بِكَلِمَـةٍ مِّنْـهُ اسـمه المسـيح عِيسَـى ابن مَـرْيَمَ وَجِيهًـا فِي الـدنيا والاخـرة وَمِنَ المقربين} [آل عمران: 45]، أي بولد بغير أب يصير مخلوقـاً بكلمـة من الله، وهو قوله كن فكـان {اسـمه المسـيح عِيسَـى ابن مَـرْيَمَ} ويقال إنما سمي المسـيح، لأنـه يسـيح في الأرض. ويقـال: المسـيح بمعنى الماسح، كان يمسح وجه الأعمى فيبصر.

وقـال الكلـبي: المسـيح الملـك. ثم قـال {وَجِيهـاً} أي ذا جـاه {فِى الدنيا والاخرة} له منزلـة {فِى الاخـرة} وقـال مقاتـل: فيهـا تقـديم يعني وجيهاً في الدنيا {وَمِنَ المقربين} في الآخرة عنـد ربـه. وقـال الكلبي: {وَجِيهًـا فِي الـدنيا} يعـني في أهـل الـدنيا بالمنزلـة، {وَفِي

الاخــرة مِنَ المقــربين} في جنــة عــدن {وَيُكَلِّمُ النـاس فِى المهـدِ وَكَهْلاً} أي في حـال صـغره، وهـو طفـل في حجـر أمـه طفلاً وكهلاً، يعني إذا اجتمع عقله وكبر، فإن قيل: مـا معـنى قولـه كهلاً؟ والكلام من الكهل لا يكون عجباً.

قيل له: المراد منه كلام الحكمة والعبرة. ويقال: كهلاً بعد نزولـه من السماء، وهـو قـول الكلـبي {وَمِنَ الصـالحين} مـع آبائـه في الجنـة {قَالَتْ} مريم {رَبِّ أنى يَكُونُ لِى وَلَدٌ} يعني من أين يكون لي ولد {وَلَمْ يَمْسَسْـنِى بَشَـرٌ} وهـو كنايـة عن الجمـاع ف {قَـالَ} جبريـل {كذلك} يعـني هكـذا كمـا قلت أنـه لم يمسسـك بشـر ولكن {اللـه يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا} يعني إذا أراد أن يخلـق خَلْقـاً {فَإِنَّمَـا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} فنفخ جبريل في جيبها، يعـني في نفسـها قـال بعضهم: وقع نفخ جبريل في رحمها، فعلقت بذلك. وقال بعضــهم: لا يجوز أن يكون الخلـق من نفخ جبريـل، لأنـه يصـير الولـد بعضـه من الملائكـة، وبعضـه من الإنس، ولكن سـبب ذلـك أن اللـه تعـالى لمـا خلق آدم عليه السلام وأخذ الميثـاق من ذريتـه، فجعـل بعضـهم في أصلاب الآباء، وبعضهم في أرحام الأمهات، فإذا اجتمع المـاءان صـار ولـداً، وإن اللـه تعـالى جعـل المَـاءَيْن جميعـاً في مـريم، بعضـه في رحمهـا، وبعضـه في صـلبها، فنفخ فيهـا جبريـل لتهيج شـهوتها، لأن المـرأة مـا لم تهج شـهوتها، لا تحبـل، فلمـا هـاجت شـهوتها بنفخـة جبريل، وقع الماء الذي كان في صلبها في رحمها، فاختلـط المـاءان فعلقت بذلك، فذلك قوله: {إِذَا قَضَى أَمْرًا}، يعني إذا أراد أن يخلق خلقاً سبحانه، {فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} بغير أب، ثم قال تعــالى: {وَيُعَلِّمُهُ الكتاب} قرأ نافع وعاصـم {وَيُعَلِّمُـهُ} باليـاء يعـني أن اللـه يعلمه، وقرأ الباقون بالنون، ومعناه أن الله يقول ونعلمه {الكتـاب} يعني كتب الأنبياء. وهذا قول الكلبي.

وقـال مقاتـل: يعـني الخـط والكتابـة، فعلّمـه اللـه بـالوحي والإلهـام {والحكمة} يعني الفقه {والتوراة والإنجيـل} يعـني يحفـظ التـوراة عن ظهر قلبه. وقـال بعضـهم: وهـو عـالم بـالتوراة. وقـال بعضـهم: ألهمه الله بعدما كبر حتى تعلم في مدة يسيرة.

ثم قال: {وَرَسُولاً إلى بَنِى إسراءيل} نصب رسولاً لمعنيين: أحدهما يجعله رسولاً إلى بني إسـرائيل، والثـاني ويكلم النـاس ورسـولاً. أي في حال رسالته إلى بني إسرائيل دليلـه أنـه قـال: {أنّى قَـدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مّن رَّبّكُمْ} وذكر الزجـاج فـالمعنى واللـه أعلم ويكلمهم رسـولاً بأني قد جئتكم بآية من ربكم. ثم أخبر عن أداء رسالته بعـدما أوحى إليه في حال الكبر، حيث قال لقومه: إني قد جئتكم بآيــة من ربكم، يعني علامــة لنبــوتي، ثم بيّن العلامــة فقـال: {أَنِى أَخْلُـقُ} أي أقـدر {لَكُمْ مّنَ الطين كَهَيْئَةِ الطير فَأَنفُخُ فِيـهِ فَيَكُـونُ طَيْـرًا بِـإِذْنِ اللـه} ويقال: إن الناس سألوه عنه على وجه التعنت فقالوا لـه: اخلـق لنـا خفَّاشاً، واجعل فيه روحـاً إن كنت صـادقاً في مقالتـك، فأخـذ طينـاً، وجعل منه خفاشاً، ونفخ فيـه، فـإذا هـو يطـير بين السـماء والأرض، فكـأن تسـوية الطين، والنفخ من عيسـى عليـه السـلام والخلـق من الله عز وجل كما أن النفخ من جبريل عليه السلام والخلق من اللــه عز وجل ويقال: إنما طلبوا منه خلق خفـاش، لأنـه أعجب من سـائر الخلق، ومن عجائبه أنـه لحم ودم، يطـير بغـير ريش، ويلـد كمـا يلـد الحيوان، ولا يبيض كما تبيض سائر الطيور، ويكـون لـه ضـرع يخـرج منه لبن، ولا يبصر في ضوء النهار، ولا في ظلمة الليـل، وإنمـا يـرى في ساعتين بعد غروب الشمس سـاعة، وبعـد طلـوع الفجـر سـاعة قبل أن يسفر جداً، ويضحك كما يضحك الإنسان، ويحيض كما تحيض المرأة، فلما أن رأوا ذلك منه ضحكوا.

وقالوا: هذا سِحْر.

ثم قال تعالى: {وَأُبْـرِئ الاكمـه والابـرص} الأكمـه الـذي ولـد أعمى فقـالوا: إن لنـا أطبـاء يفعلـون مثـل هـذا، فـذهبوا إلى جـالينوس، وأخـبروه بـذلك فقـال جـالينوس: إذا ولـد أعمى، لا يبصـر بـالعلاج، والأبرص إذا كان بحال إذا غرزت الإبرة فيه لا يخرج الدم منه لا يـبرأ بالعلاج، فرجعوا إلى عيسى عليه السلام وجـاؤوا بالأكمـه والأبـرص، فمسح يده عليهما، فأبصر الأعمى، وبرأ الأبرص، فـآمن بـه بعضـهم، وجَحَد بعضهم. وقالوا: هذا سِحْر. ثم قال تعـالى: {وَرَسُـولاً إلى بَنِى إسراءيل} فأَخْبَروا بذلك جالينوس. فقال: الميت لا يعيش، ولا يحيى

بالعلاج، فإن كان هو يحيي الموتى، فهو نبي، وليس بطبيب، فطلبوا منه أن يحيي الموتى، فأحيا أربعة نفر، أحدهم عازر، وكان صديقاً له، فبلغه أنه مات، فذهب مع أصحابه، وقد دفن، وأتى عليه أيام، فدعا الله، فقام بإذن الله تعالى وَوَدَكُه يقطر، فعاش وَوُلد له. والثاني ابن العجوز، مَرّ به وهو يحمل على سرير، فدعا الله، فقام بإذن الله تعالى، ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه، ورجع إلى أهله. والثالث ابنة من بنات العاشر ماتت، وأتى عليها ليلة، فدعا الله تعالى، فعاشت بعد ذلك، وولد لها. والرابع سام بن نوح، لأن القوم قالوا له: إنك تحيي من كان موته قريباً، فلعلهم لم يموتوا، وأصابتهم سكتة، فأحيي لنا سام بن نوح. فقال: دلوني على قبره، فخرج وخرج القوم معه حتى انتهوا إلى قبره، فدعا الله تعالى، فأحياه وخرج من قبره قد شابت رأسه. فقال له عيسى: كيف شابت رأسك ولم يكن في زمانكم شيب؟ فقال: يا روح الله إنك لما دعوتني، سمعت صوتاً يقول أَجِبْ روحَ الله، فظننت أن القيامة قد قامت، فمن ذلك الهول شابت رأسي، فسأله عن النَّزْع.

فقال له: يا روح الله إن مرارة النزع لم تذهب عن حنجرتي، وقد كان من وقت موته أكثر من أربعة آلاف سنة، ثم قال للقوم: صدقوه فإنه نبي الله، فآمن به بعضهم، وكذب به بعضهم. وقالوا: هذا ساحر، فأرنا آية نعلم أنك صادق، فأخبرنا بما نأكل في بيوتنا، وما نَدَّخر للغد، فأخبرهم. فقال: يا فلان أنت أكلت كذا وكذا، وأنت أكلت كذا وكذا، وادّخرت كذا وكذا، فذلك قوله عز وجل: {وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ} فمنهم من آمن به، ومنهم من كفر.

ويقال إن الله بعث كل نبي إلى قومه، وأظهر لهم نوع ما كانوا يعرفونه، فكان في زمن موسى عليه السلام الغالب عليهم السحر، فبيَّن لهم من جنس ذلك، ليعرفوا أن ذلك ليس بِسِحْر، وأنه من الله تعالى، وكان الغالب في زمن عيسى عليه السلام علم الطب، فجاءهم عيسى بما عجز الأطباء عنه، فعرف الأطباء أن ذلك ليس

من الطب، وكان في زمن نبينا عليه السلام الفصاحة والشعر، فجاءهم بقرآن عجز الفصحاء والشعراء عن إتيان مثله.

ثم قال تعالى: {إِنَّ فِي ذلك لأَيَةً لَّكُمْ} يعني فيما صنع عيسى عليه السلام علامة لنبوته {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أي مصدقين أنه نبي، قرأ نافع: فيكون طائراً، وكذلك في سورة المائدة. وقرأ الباقون بغير ألف، ومعناهما واحد. ويقال: الطائر واحد، والطير جماعة. ثم قال: {وَمُصَدّقًا لّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التوراة} ومعناه جئتكم مصدقاً، يعني الكتاب الذي أنزل عليّ، وهو الإنجيل مُصَدِّقاً، أي موافقاً لما بين يدي من التوراة {وَلاِحِلَّ لَكُم} يعني أرخص لكم {بَعْضَ الذي حُرّمَ عَلَيْكُمْ} مثل الشحوم، ولحوم الإبل، ولحم كل ذي ظفر، وأما الميت، ولحم الخنزير، فهو حرام أبداً. قوله: {وَجِئْتُكُمْ بِأَيَةٍ مّن رَّبّكُمْ} يعني أني لم أحل لكم شيئاً بغير برهان، فحقيق عليكم اتباعي، لأني أتيتكم ببرهان، وأتيتكم بتحليل الطيبات {فاتقوا الله} فيما أمركم ونهاكم {وَأَطِيعُونِ} فيما آمركم وأنهاكم، وأنصح لكم {إِنَّ الله رَبّى وَرَبُّكُمْ} هذا تكذيب لقول النصارى حيث قالوا: إن الله هو المسيح. وقالوا: إن الله ثالث ثلاثة، فاعترف عيسى أنه عبد الله، وهو قوله تعالى: {إِنَّ الله رَبّى وَرَبُّكُمْ} أي خالقي وخالقكم، ورازقي ورازقكم، فاعبدوه، أي وحدوه ولا تشركوا به شيئاً {هذا صراط مُّسْتَقِيمٌ} يعني هذا التوحيد الذي أدعوكم إليه طريق مستقيم، لا عوج فيه، وهو طريق الجنة.

تفسير الآيات رقم [52- 53]

{فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (52) رَبَّنَا آَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (53)}

{فَلَمَّا أَحَسَّ عيسى مِنْهُمُ الكفر} قال الكلبي: فلما عرف منهم الكفر بالله. ويقال: فلما سمع منهم كلمة الكفر. وقال الزجاج:

أحس في اللغة علم، ووجـد. ويقـال هـل أحسسـت الخـبر؟ أي هـل عرفته وعلمته؟.

وقال مقاتل: فلما رأى من بني إسـرائيل الكفـر. كقولـه عـز وجـل: {وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِّنْ أَحَـدٍ أَوْ تَسْـمَعُ لَهُمْ رِكْزاً} [مريم: 98] يعني هل ترى؟ ويقال: إنه لما علم عيسـى أنهم أرادوا قتله {قَالَ مَنْ أَنصَارِى إِلَى الله} يقول: من أعواني مع الله؟ قـال القتـبي: إلى هاهنـا بمعـنى مـع مثـل قولـه، {وَءَاتُـواْ اليتـامى أموالهم وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الخبيث بالطيب وَلاَ تـأكلوا أمـوالهم إلى أمـوالكم إِنَّهُ كَانَ حُوباً كَبِيراً} [النساء: 2]، أي مع أموالكم، كمـا يقـال: الـذود إلى الذود إبل، أي مع الذود. فقال: {مَنْ أَنصَارِى إِلَى الله}؟ أي مع الله {قَالَ الحواريون نَحْنُ أَنْصَارُ الله} قـال الكلـبي: الحواريـون هم أصفياء عيسى عليه السلام وكـانوا اثـني عشـر رجلاً. وقـال مقاتـل: كانوا قَصَّارين، فمر بهم عيسى عليه السلام وقال: من أنصـاري إلى اللـه؟ قـالوا: نحن أنصـار اللـه. ويقـال: إنـه مـر بهم، وهم يغسـلون الثيـاب. فقـال لهم: إيش تصـنعون قـالوا: نطهـر الثيـاب. فقـال: ألا أدلكم بطهارة أنفع من هذا؟ قـالوا: نعم. فقـال: تَعَـالَوْا حـتى نطهـرَ أنفسنا من الذنوب، فبايعوه. ويقـال: إنهم كـانوا صـيادين، فمـرَّ بهم. وقال: ألا أدلَّكم على اصطياد أنفعَ لكم من هذا؟ قـالوا: نعم. فقـال: تَعَالَوْا حتى نصطاد أنفسنا من شر إبليس، فبايعوه. وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: إنما سُمُّوا حواريين لبيـاض ثيـابهم، وكانوا صيّادين.

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «الزُّبَيْـرُ ابْنُ عَمَّتِي وَحَوارِيَّ من أُمَّتِي»، يعني به الخالص، فهذا يكـون دليلاً لقـول الكلبي: إنهم خواصه وأصفياؤه، ومعنى آخر نحن أنصـار اللـه، يعـني أنصار دين اللـه {باللـه فَـإِذَا} أي صـدقنا بتوحيـد اللـه {واشـهد بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} يعني أشهدنا، على ذلك، فاشهد يا عيسى بأنـا مسـلمون ثم قالوا: {رَبَّنَا ءامَنَّا بِمَا أَنزَلَتْ} من الإنجيـل على عيسـى {واتبعنـا الرسول} أي عيسى عليه السلام على دينه {فاكتبنا مَعَ الشاهدين} يعني اجعلنا مع من أسلم قبلنا، وشهدوا بوحدانيتك.

تفسير الآية رقم [54]

{وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (54)}

ثم قال تعالى حكاية عن كفار قومه: {وَمَكَرُواْ} يعني أرادوا قتل عيسى عليه السلام {وَمَكَرَ اللـه} تعالى، أي جازاهم جزاء المكر {واللـه خَيْرُ الماكرين} لأن مكرهم جَوْرٌ ومكر اللـه عَدْل. قال الكلبي: وذلك أن اليهود اجتمعوا على قتل عيسى، فدخل عيسى عليه السلام البيت هارباً منهم، فرفعه جبريل من الكوَّة إلى السماء. كما قال في آية أخرى، {وأيدناه بِرُوحِ القدس} فقال ملكهم لرجل خبيث يقال له يهوذا: ادخل عليه، فاقتله، فدخل الرجل الخوخة، فلم يجد هناك عيسى، وألقى الله عليه شبه عيسى عليه السلام فلما خرج رأوه على شبه عيسى، فأخذوه وقتلوه وصلبوه، ثم قالوا: وجهه يشبه وجه عيسى، وبدنه يشبه بدن صاحبنا فإن كان هذا عيسى فأين صاحبنا، وإن كان هذا صاحبنا، فأين عيسى، فوقع بينهم قتال، فقتل بعضهم بعضاً، فلما خرجوا رأوه على بيت، فذلك قوله: {وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ اللـه واللـه خَيْرُ الماكرين} قال الضحاك: وكانت القصة أن اليهود خذلهم اللـه تعالى لما أرادوا قتل عيسى عليه السلام اجتمع الحواريون في غرفة، وهم اثنا عشر رجلاً، فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة فأخبر إبليس جميع اليهود، فركب منهم أربعة آلاف رجل، فأحدقوا بالغرفة. فقال المسيح للحواريين: أيكم يخرج فَيُقْتَلُ وهو معي في الجنة؟ فقال رجل منهم: أنا يا نبي اللـه، فألقى إليه مدرعة من صوف، وعمامة من صوف، وناوله عكازه، فألقي عليه شبه عيسى عليه السلام فخرج على اليهود فقتلوه وصلبوه، وأما المسيح، فكساه اللـه الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فطار في الملائكة.

تفسير الآيات رقم [55- 57]

{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ

إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُـونَ (55) فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِـرِينَ (56) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّـالِحَاتِ فَيُـوَفِّيهِمْ أُجُـورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (57)}

قوله تعالى: {إِذْ قَالَ الله ياعيسى إِنّي مُتَوَفّيـكَ وَرَافِعُـكَ إِلَىَّ} ففي الآيـة تقـديم وتـأخير، ومعنـاه إني رافعـك من الـدنيا إلى السـماء، ومتوفّيك بعد أن تنزل من السماء على عهد الدجال ويقال: إنه ينزل ويتزوج امرأة من العرب بعدما يقتل الدجال، وتلد لـه ابنـة، فتمـوت ابنته، ثم يموت هو بعدما يعيش سنين، لأنه قد سـأل ربـه أن يجعلـه من هذه الأمة، فاستجاب الله دعاه. وروي عن أبي هريـرة أنـه جـاء إلى الكتاب، وقال للمعلم: قل للصبيان حـتى يسـكتوا، فلمـا سـكتوا قال لهم: أيها الصبيان من عاش منكم إلى وقت نزول عيسـى عليـه السلام فليقرئه مني السلام، وإني كنت أرجو أن لا أخـرج من الـدنيا حتى أراه هذا كناية عن قرب الساعة.

ثم قال: {وَمُطَهّرُكَ} أي منجيـك {مِنَ الـذين كَفَـرُواْ وَجَاعِـلُ الـذين اتبعوك} على دينك {فَوْقَ الذين كَفَرُواْ} بالحجة والغلبـة {إلى يَـوْمِ القيامة}. وروي عن عبد الله بن عباس أنـه قـال: الـذين اتبعـوه هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنهم هم الذين صدّقوه.

ثم قال {ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ} يعني الذين اتبعوك، والذين كفـروا كلهم مرجعهم إلي. {فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ} يعـني بين المؤمـنين والكفـار {فِيمَـا كُنتُمْ فِيـهِ تَخْتَلِفُـونَ} من الـدين، ثم أخـبر عن حـال الفـريقين في الآخرة فقال: {فَأَمَّا الذين كَفَـرُواْ فَأُعَـذّبُهُمْ عَـذَاباً شَـدِيداً فِي الـدنيا والاخرة} في الدنيا بالقتل والجزية، وفي الآخرة بالنار {وَمَا لَهُم مّن ناصـرين} يعـني مـانع يمنعهم من عـذاب اللـه {وَأَمَّا الـذين ءامَنُـواْ وَعَمِلُواْ الصالحات} قال مقاتل هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم " فَيوفيهم أجورهم "

قرأ عاصم في رواية حفص، فيوفيهم بالياء، يعني يوفيهم أجورهم، وأما الباقون بالنون، يعني أن الله قال {فَيُوَفّيهِمْ أُجُورَهُمْ} وهذا لفظ الملوك، إنهم يتكلمون بلفظ الجماعة، ويقولون: نحن نفعل كذا وكذا، ونكتب إلى فلان، ونأمر بكذا، فالله تعالى خاطب العرب بما يفهمون فيما بينهم كما قال في سائر المواضع {إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحاً صَرْصَراً فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ} [القمر: 19] {إِنَّآ أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكتاب بالحق لِتَحْكُمَ بَيْنَ الناس بِمَآ أَرَاكَ الله وَلاَ تَكُنْ لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيماً} [النساء: 105] وكذلك ها هنا قال: «فنوفيهم أجورهم» أي نعطيهم ثواب عملهم {والله لاَ يُحِبُّ الظالمين} أي لا يرضى دين الكافرين.

تفسير الآية رقم [58]

{ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآَيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ (58)}

{ذلك نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيات والذكر الحكيم} يقول هذه الآيات، وهذه القصص بينات في القرآن. وأنزلنا عليك جبريل، ليقرأ عليك من الآيات يعني من البيان {والذكر الحكيم} يعني القرآن كله. وقال الكلبي: الذكر الحكيم الذي عند رب العالمين في درة بيضاء، وهو اللوح المحفوظ. ويقال هو القرآن، لأنه محكم ليس فيه تناقض، ولا يقدر أحد أن يأتي بمثله. ويقال: هو الشرف كقوله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ} [الزخرف: 44].

تفسير الآية رقم [59]

{إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آَدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59)}

ثم قال: {إِنَّ مَثَلَ عيسى عِندَ الله} نزلت في وفد نجران، السيد والعاقب، والأسقف، وجماعة من علمائهم وأحبارهم، قدموا على النبيّ صلى الله عليه وسلم، وناظروه في أمر عيسى عليه السلام

فقال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم: «هُـوَ عَبْـدُ اللـه وَرَسُـولُهُ»، فقالوا: أرنا خلقاً من خلق الله تعالى بغير أب، وَكَانَ يُحـيي المـوتى، وكان فيه دليل على ما قلنا، وكانوا يقولـون: إنـه اتخـذه ابنـاً، فقـال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَسْلِمُوا» فقالوا: قد أسلمنا قبلك، فقال لهم: «كَذَبْتُمْ، إنَّمَا يَمْنَعُكُمْ مِنَ الإسْـلامِ ثَلاثٌ، أَكْـلُ لَحْمِ الخَنْزِيرِ، وَعِبَادَةُ الصَّلِيبِ، وَقَـوْلُكُمْ: للـه وَلَـدٌ»، فقـالوا لـه: من أبـو عيسى؟ فنزل قوله تعالى: {إنَّ مَثَلَ عيسى عِنـدَ اللـه كَمَثَـلِ ءادَمَ} يعني: شبه خلق عيسى عند الله كشبه خلق آدم {خَلَقَهُ مِن تُـرَابٍ} يعني: صوّره من غير أب ولا أم {ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ} فكان بشراً بغير أب، كذلك عيسـى كـان بشـراً بغـير أب، وفي هـذه الآيـة دليـل علمي أن الشيء يشبه بالشيء، وإن كان بينهما فرق كبـير، بعـد أن يجتمعا في وصف واحد، كما أن هاهنا خلق آدم من تراب، ولم يخلق عيسى من تراب، وكـان بينهمـا فـرق من هـذا الوجـه، ولكن الشـبه بينهما أنه خلقهما من غـير أب، ولأن أصـل خلقهمـا جميعـاً كـان من تراب، لأن آدم لم يخلق من نفس التراب، ولكنه جعل التراب طينـاً، ثم جعله صلصالاً، ثم خلقه منه، فكذلك عيسـى عليـه السـلام حولـه من حال إلى حال، ثم خلقه بشراً من غير أب.

تفسير الآيات رقم [60- 61]

{الْحَـقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَـرِينَ (60) فَمَنْ حَاجَّكَ فِيـهِ مِنْ بَعْدِ مَـا جَـاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُـلْ تَعَـالَوْا نَـدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَـاءَكُمْ وَنِسَـاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ (61)}

ثم قال تعالى: {الحـق مِن رَّبّـكَ} يعـني خـبر عيسـى، كمـا أخبرتـك وأنبأتــك في القــرآن {فَلاَ تَكُنْ مّن الممــترين} أي من الشــاكين. ويقـال: المثـل الـذي ذكـر في عيسـى، هـو الحـق من ربـك، وهـذا الخطاب للنبيّ صلى الله عليه وسلم، والمراد منه جميـع من اتبعـه، ومعناه فلا تكونوا من الممترين، أي من المشـركين، يعـني إن مثلـه كمثل آدم عليهما السلام {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ} وذلك أن النصـارى لمـا

أخبرهم بالمثل في حق عيسى عليه السلام قالوا ليس كما تقول، وهذا ليس بمثل، فنزلت هذه الآية {فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ} يعني خاصمك في أمر عيسى عليه السلام {مِّن بَعْدِ مَا جَاءكَ مِنَ العلم} أي من البيان في أمره {فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَاءنَا وَأَبْنَاءكُمْ} أي نخرج أبناءنا وأبناءكم {و} نخرج {وَنِسَاءنَا وَنِسَاءكُمْ وَأَنفُسَنَا وأَنفُسَكُمْ} يعني نحن بأنفسنا، ويقال: إخواننا ونجتمع في موضع {ثُمَّ نَبْتَهِلْ} أي نلتعن. وقال مقاتل: يعني نخلص في الدعاء. ويقال: هي المبالغة في الدعاء والتضرع {فَنَجْعَل لَّعْنَتُ اللهِ عَلَى الكاذبين} فواعدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخرجوا للملاعنة، فجعلوا وقتاً للخروج، وتفرقوا على ذلك، ثم ندموا، فلما كان ذلك اليوم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأخذ بيد الحسن والحسين، وخرج معه علي بن أبي طالب، وفاطمة، فلما اجتمعوا في الموضع الذي واعدهم، طلب منهم الملاعنة، فقالوا نعوذ بالله، فقال لهم: «إِمَّا أَنْ تُلْعَنُوا، وَإِمَّا أَنْ تُسْلِمُوا، وَإِمَّا أَنْ تُؤَدُّوا الجِزْيَةَ»، فقبلوا الجزية، وصالحوه بأن يؤدوا كل سنة ألفي حلة، ألف حلة في المُحَرَّم، وألف حلة في رجب، وأمَّرَ عليهم أبا عبيدة بن الجراح، ورجعوا، فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ أَنَّهُمُ الْتَعَنُوا لَهَلَكُوا كُلُّهُمْ حَتَّى العَصَافِيرُ فِي سُقُوفِ الحِيطَانِ».

تفسير الآيات رقم [62- 66]

{إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (62) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ (63) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (64) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (65) هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (66)}

ثم قال الله تعالى: {إِنَّ هذا لَهُوَ القصص الحق} يعني ما أُخْبِرُوا من أمر عيسى عليه السلام هـو الخـبر الحـق يعـني أنـه كـان عبـد اللـه ورسوله. ويقـال: هـذا القـرآن هـو الحـق {وَمَـا مِنْ إلـه إِلاَّ اللـه} لا شريك له {وَإِنَّ الله لَهُوَ العزيـز الحكيم} العزيـز في ملكـه، الحكيم في أمره حكم بخلق عيسى في بطن أمه من غير أب. {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يقـول: أبَـوْا، ولم يسْـلموا {فَـإِنَّ اللـه عَلِيمٌ بالمفسـدين} يجـازيهم بذلك، وهذه كلمـة تهديـد {قُـلْ ياأهـل * أَهْـلِ الكتـاب **تَعَـالَوْاْ إلى كَلِمَةٍ سَوَاء بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} يعـني كلمـة عـدل بيننـا وبينكم. ويقـال في قراءة عبد الله بن مسعود: إلى كلمة عدل بيننا وبينكم، يعـني لا إلـه إلاَّ الله، وهي كلمـة الإخلاص ويقـال إلى كلمـة تسـوي بيننـا وبينكم، فتصير دماؤكم كدمائنا، وأموالكم كأموالنا {أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ الله} يعني ألا نُوَحِّد إلا الله {وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً} من خلقه {وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُـنَا بَعْضًـا أَرْبَابًا مِّن دُونِ الله} لأنهم اتخذوا عيسى رباً من دون الله.

ويقال: لا يطيع بعضنا بعضاً في المعصية. كما قال: {اتخذوا أحبارهم ورهبـانهم أَرْبَابـاً مِّن دُونِ اللـه والمسـيح ابن مَـرْيَمَ وَمَـآ أمـروا إِلاَّ ليعبـدوا إلهـا واحـدا لاَّ إلـه إِلاَّ هُـوَ سـبحانه عَمَّا يُشْـرِكُونَ} [سـورة التوبة: 31] أي أطاعوهم في المعصية. ويقال: لا يتخذ بعضـنا بعضـاً أرباباً. كما قالت النصارى: إن الله ثالثُ ثلاثة {فَإِن تَوَلَّوْاْ} يعني أبوا عن التوحيـد {فَقُولُـواْ} لهم يـا معشـر المسـلمين {اشـهدوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} أي مخلصـون للـه بالعبـادة والتوحيـد {مُسْلِمُونَ ياأهـل الكتاب لِمَ تُحَاجُّونَ فِى إبـراهيم} وذلـك أن اليهـود والنصـارى كـانوا اجتمعوا في بيت مدرسة اليهود، وكل فريق يقول كان إبـراهيم منـا، وكـان على ديننـا فـنزل {مُسْلِمُونَ ياأهـل الكتـاب لِمَ تُحَـاجُّونَ فِى إبـراهيم} أي لِمَ تخاصـمون في دين إبـراهيم {وَمَـا أُنـزِلَتِ التـوراة والإنجيـل إِلاَّ مِن بَعْـدِهِ} يعـني من بعـد إبـراهيم عليـه السـلام ولكن اليهوديـة والنصـرانية إنمـا سـميت بهـذا الاسـم بعـد نـزول التـوراة والإنجيل. وقال الكلبي: نزلت في شأن النفر الـذين كـانوا بالحبشـة من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، فهم جعفر الطيـار وغـيره. كما قال الله تعالى: {اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أَرْبَاباً} أي أطاعوهم

في المعصية، وكـانت بينهم، وبين أحبـار الحبشـة منـاظرة في ذلـك الوقت، فنزلت هذه الآية.

وقـال الزجـاج: هـذه الآيـة أبين الحجج على اليهـود والنصـارى، بـأن التوراة والإنجيل أنزلا من بعده، وليس فيهما اسم لواحد من الأديان، واسم الإسلام في كل كتاب، وهـو قولـه: {لِمَ تُحَـاجُّونَ فِى إبـراهيم وَمَا أُنزِلَتِ التـوراة والإنجيـل إِلاَّ مِن بَعْـدِهِ}، {أَفَلاَ تَعْقِلُـونَ} يقـول: أليس لكم ذهن الإنسانية أن تنظـروا فيمـا تقولـون {تَعْقِلُـونَ هـأَنتُمْ هؤلاء حاججتم} يقول أنتم يـا هـؤلاء خاصـمتم {فِيمَـا لَكُم بِـهِ عِلمٌ} في صفة محمـد صـلى اللـه عليـه وسـلم فتجدونـه في كتبكم {فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِـهِ عِلْمٌ} يقـول: مـا ليس في كتـابكم، وهـو أمـر إبـراهيم عليـه السـلام {اللـه يَعْلَمُ} أن إبـراهيم كـان على دين الإسلام {وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ذلك.

تفسير الآية رقم [67]

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَـانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (67)}

{وَمَا كَان إبراهيم يَهُودِيّا وَلاَ نَصْرَانِيّا} يقـول: لم يكن إبـراهيم عليـه السلام على دين اليهودية ولا النصرانية {وَلَكِن كَانَ حَنِيفًـا مُّسْـلِمًا} أي مخلصاً {وَمَا كَانَ مِنَ المشركين} يعني ما كـان أي لم يكن على دينهم. وقال الزجاج: الحنف في اللغة إقبال صـدر القـدمين إقبـالاً لا رجوع فيها أبداً، فمعنى الحنيفية في الإسـلام، الإقبـال والميـل إليـه، والإقامة على ذلك.

تفسير الآية رقم [68]

{إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِـإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُـوهُ وَهَـذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آَمَنُـوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (68)}

ثم قال: {إِنَّ أَوْلَى الناس بإبراهيم} يقول: أحق الناس بدين إبراهيم {لَلَّذِينَ اتبعوه} واقتدوا به وآمنوا به {وهـذا النـبى} يعـني هـو على دينه ومنهاجه {والذين ءامَنُواْ} هم أصحاب محمـد صـلى اللـه عليـه وسلم على دينه، {والله وَلِيُّ المؤمنين} في العَوْن والنُّصرة.

تفسير الآية رقم [69]

{وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَـا يُضِـلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَـهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (69)}

{وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكتاب} يعني أرادت، وتمنت جماعة من أهل الكتاب {لَوْ يُضِلُّونَكُمْ} أي يصرفونكم عن دين الإسلام {وَمَا يُضِلُّونَ إلا أَنفُسَهُمْ} أي وَبَالُ ذلك يرجع إلى أنفسهم. ويقال: وما يضلون إلا أنفسهم، أمثالهم كقوله عزّ وجـلّ: {وَإِذْ قَـالَ موسـى لِقَوْمِـهِ يـاقوم إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَـكُمْ باتخـاذكم العجـل فتوبـوا إلى بَـارِئِكُمْ فـاقتلوا أَنفُسَـكُمْ ذلكم خَيْـرٌ لَّكُمْ عِنـدَ بَـارِئِكُمْ فَتَـابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُـوَ التـواب الرحيم} [سورة البقرة: 54] أي بعضكم بعضاً {وَمَا يَشْعُرُونَ} قال مقاتل: أي وما يشعرون أنهم يضـلون أنفسـهم. وقـال الكلـبي: ومـا يشعرون أن الله يَدُلُّ نبيَّه عليه السلام على ضلالتهم أي يُطْلِعُه.

تفسير الآيات رقم [70- 71]

{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْـهَدُونَ (70) يَـا أَهْـلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَـقَّ بِالْبَاطِـلِ وَتَكْتُمُـونَ الْحَـقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُـونَ (71)}

ثم قال: {يأَهْلَ الكتاب لِمَ تَكْفُرُونَ بأيـات اللـه} يقـول لم تجحـدون بالقرآن {وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ} أنه نبيّ اللـه، لأنهم كـانوا يخـبرون بـأمره قبل مبعثه ويقال: بآيـات اللـه، يعـني بعجائبـه ودلائلـه. ويقـال: بآيـة الرجم ثم قال: {تَشْهَدُونَ ياأهل الكتاب لِمَ تَلْبِسُونَ الحق بالباطـل} يقول لِمَ تخلطون الكفر بالإيمان؟ لأنهم آمنوا ببعضه، وكفروا ببعضه

{وَتَكْتُمُونَ الحق} يعني بعث محمد صلى الله عليه وسلم {وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} أنه حق، وأنه في التوراة.

تفسير الآيات رقم [72- 74]

{وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آَمِنُوا بِالَّذِي أُنْزِلَ عَلَى الَّذِينَ آَمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آَخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (72) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (73) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (74)}

وَقَالَتْ طائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بالَّذِي أُنْزِلَ على الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهارِ} قال الكلبي: وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قَدِمَ المدينة، صلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهراً، أو ثمانية عشر شهراً، فلما صرف الله نبيّه إلى الكعبة عند صلاة الظهر، وقد كان صلى صلاة الصبح إلى بيت المقدس، وصلّى صلاة الظهر والعصر إلى الكعبة. فقال رؤساء اليهود منهم: كعب بن الأشرف، ومالك بن الضيف، وغيرهما للسفلة منهم، آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار، صدقوه بالقبلة التي صلّى صلاة الصبح في أول النهار وآمنوا به، وإنه الحق، {واكفروا ءاخِرَهُ} يعني اكفروا بالقبلة التي صلى إليها آخر النهار {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} إلى قبلتكم ودينكم. وقال مقاتل: معناه أنهم جاؤوا إلى محمد صلى الله عليه وسلم أول النهار، ورجعوا من عنده، وقالوا للسفلة: هو حق فاتبعوه، ثم قالوا: حتى ننظر في التوراة، ثم رجعوا في آخر النهار. فقالوا: قد نظرنا في التوراة، فليس هو إياه، يعنون أنه ليس بحق، وإنما أرادوا أن يلبسوا على السفلة، وأن يشككوا فيه فذلك قوله: {وَقَالَت طَّائِفَةٌ مّنْ أَهْلِ الكتاب ءامِنُواْ بالذي أَنزِلَ} يعني قالوا: لهم في أول النهار آمنوا به {واكفروا ءاخِرَهُ} يعني قالوا: في آخر النهار، واكفروا به {لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} أي يشكون فيه فيرجعون.

ثم قال للسفلة: {وَلاَ تُؤْمِنُواْ إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ} قال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير، ومعناه ولا تؤمنوا، أي لا تصدقوا، إلا لمن تبع دينكم، فإنه لن يُؤْتَى أَحَدٌ مثلَ ما أوتيتُمْ من التوراة، والمَنّ والسَّلوى، ولا تخبروهم بأمر محمد صلى الله عليه وسلم، فيحاجوكم عند ربكم، أي يخاصموكم، ويجعلوه حجة عليكم. فقالوا ذلك حسداً حيث كان النبيّ صلى الله عليه وسلم من غيرهم قال الله تعالى: {قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله} وإن الفضل بيد الله، وهو قول مقاتل.

وقال الكلبي: بغير تقديم وتأخير، يقول: {وَلاَ تُؤْمِنُواْ}، أي ولا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم اليهودية، وصلى إلى قبلتكم، {قُلْ إِنَّ الهدى هُدَى الله} يقول: دين الله هو الإسلام. {أن يؤتى أَحَدٌ مّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ} يقول لن يعطى أحد مثل ما أوتيتم من دين الإسلام، والقرآن الذي فيه الحلال والحرام {أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبّكُمْ} أي: لن يخاصمكم اليهود عند ربكم يوم القيامة، ثم قال {قُلْ} يا محمد {إِنَّ الفضل بِيَدِ الله} يعني النبوة، والكتاب والهدى، بيد الله، أي: بتوفيق الله، {يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء} يعني يوفق من يشاء، {والله واسع عَلِيمٌ}. يقول: واسع الفضل {عَلِيمٌ} بمن يؤتيه الفضل {يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاء} يعني بدينه يعطيه من يشاء من عباده {والله ذُو الفضل العظيم} أي ذو المن العظيم، لمن اختصه بالإسلام.

▲ تفسير الآيات رقم [75- 76]

{وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (75) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (76)}

{وَمِنْ أَهْلِ الكتاب مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدّهِ إِلَيْكَ} قرأ أبو عمرو وحمزة يُؤَدِّهْ بجزم الهاء، وهي لغة لبعض العرب، واللغة المعروفة هي بإظهار الكسرة. قال مقاتل: يعني عبد الله بن سلام وأصحابه.

وقال ابن عباس في رواية أبي صالح إن الله تعالى ذكر أن أهل الكتاب فيهم أمانة، وفيهم خيانة وقال الضحاك: {وَمِنْ أَهْلِ الكتابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ} يعني به عبد الله بن سلام أودعه رجل ألفاً ومائتي أوقيّة من الذهب، فأداها إليه، فمدحه الله تعالى ويقال: إن نعت محمد صلى الله عليه وسلم أمانة، فمن كتمه، دخل تحت قوله {لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ}، ومن لم يكتمه دخل تحت قوله {يُؤَدّهِ}، ثم قال تعالى: {وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لاَّ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ} وهو فنْخاص بن عازورا اليهودي، أودعه رجل ديناراً، فخانه. ويقال: {يُؤَدّهِ إِلَيْكَ}، يعني النصارى كانوا أَلْيَنَ قُلوباً، يؤدون الأمانة، واليهود لا يؤدون الأمانة، فكانوا إذا أخذوا أمانات الناس، أو مال اليتامى، فكانوا يغتنمون ذلك، كما يفعل بعض أهل الإسلام إذا وقع في يده شيء من أموال المسلمين جعله كالغنيمة.

ثم قال تعالى: {إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا} أي مُلِحّاً متقاضياً و{ذلك} يعني الاستحلال {بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى الاميين سَبِيلٌ} يعني يقولون ليس علينا في مال العرب مأثم. ويقال: من لم يكن على ديننا، فَمَالُه لنا حلال، بمنزلة مذهب الخوارج أنهم يستحلون مال من كان على خلاف مذهبهم {وَيَقُولُونَ عَلَى الله الكذب} وهم يعلمون، لأنهم كانوا يقولون إن ذلك حلال في التوراة، فأخبر الله تعالى أنهم كاذبون على الله {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أن الله أمرهم بأداء الأمانة، وأخذ على ذلك ميثاقهم، فهذا قوله تعالى: {بلى مَنْ أوفى بِعَهْدِهِ} أي بعهد الله الذي أخذ عليهم بأداء الأمانة، وهي نعت محمد صلى الله عليه وسلم {واتقى} محارمه، هذا قول مقاتل وقال الكلبي: واتقى ظلم الناس {فَإِنَّ الله يُحِبُّ المتقين} عن نقض العهد.

▲ تفسير الآيات رقم [77- 78]

{إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآَخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ

وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ (77) وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًـا يَلْـوُونَ أَلْسِـنَتَهُمْ بِالْكِتَـابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُـونَ هُـوَ مِنْ عِنْـدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (78)}

{إِنَّ الذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله} قال ابن عباس في رواية أبي صالح: نزلت في شأن عبدان بن الأشوع، وامـرئ القيس بن عـابس، ادّعى أحدهما على صاحبه حقـاً، فـأراد المـدَّعى عليـه أن يحلـف بالكـذب، فنزلت هذه الآية. وقال مقاتل: نزلت في شأن رؤساء اليهود، كتمـوا نعت محمد صلى الله عليـه وسـلم، لأجـل منـافع الـدنيا. ويقـال: إن جماعة من علماء اليهود، قَدِموا المدينة من الشام ليُسلموا، فلقيهم كَعْب بن الأشرف فقال لهم: تعلمون أنه نبي؟ قالوا: نعم. فقال لهم كعب: حَـرَّمْتُمْ على أنفسـكم خـيراً كثـيراً، لأني كنت أردت أن أبْعث لكم الهدايا. فقالوا: حتى ننظر في ذلك، فنظروا ثم رجعـوا. فقـالوا: ليس هــو الــذي وجــدنا صــفته، فأخــذ منهم إقــرارهم وخطــوطهم وأيْمَـانهم على ذلـك، ثم بعث إلى كـل واحـد منهم ثمانيـة أذرع من الكرباس، وخمسة أصوع من الشعير، فـنزل في شـأنهم {إِنَّ الـذين يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ الله وأيمانهم ثَمَنًـا قَلِيًلا} أي عرضـاً يسـيراً {أُوْلَئِكَ لاَ خلاق لَهُمْ فِى الاخــرة} أي لا نصــيب لهم في الآخــرة {وَلاَ يُكَلّمُهُمُ اللــه} وقــال الزجــاج: قولــه {وَلاَ يُكَلّمُهُمُ اللــه}، يحتمــل معنــيين؛ أحــدهما إســماع كلام اللــه تعــالى أوليــاءه، خصوصــاً لهم، كمــا كلم موسى خصوصية لـه دون البشـر، ويجـوز أن يكـون تأويلـه للغضـب عليهم، كما يقال: فلان لا يكلم فلاناً، ولا ينظـر إليـه، أي هـو غضـبان عليه، وإن كان هو يكلمه بكلام السوء، فذلك معنى قولـه لا يكلمهم، أي بكلام الرحمــة {وَلاَ يَنظُــرُ إِلَيْهِمْ يَــوْمَ القيامــة} بالرحمــة {وَلاَ يُزَكّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

ثم قـال {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًـا} يعـني طائفـة من اليهـود، وهـذه اللام لزيـادة تأكيـد على تأكيـد {يَلْـوُونَ أَلْسِـنَتَهُم بالكتـاب} أي يحرفـون ألسنتهم بالكتاب، يعني بنعت محمد صلى الله عليه وسلم ويغيرونه، ويقـال: يغيرونـه في التلاوة فيقرؤونـه على خلاف مـا في التـوراة. ويقال: يحرفون تأويله على خلاف مـا فيـه {لِتَحْسَـبُوهُ مِنَ الكتـاب}

أي من التوراة {وَمَا هُوَ مِنَ الكتاب} أي من التـوراة، بـل هم كتبـوا وهم تأوّلوا {وَيَقُولُونَ هُـوَ مِنْ عِنـدِ اللَّهِ وَمَـا هُـوَ مِنْ عِنـدِ اللـه} أي ليس هو من عند الله {وَيَقُولُونَ عَلَى الله الكذب وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنـه كذب.

تفسير الآيات رقم [79- 80]

{مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُـولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَـادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُـوا رَبَّانِيِّينَ بِمَـا كُنْتُمْ تُعَلِّمُـونَ الْكِتَـابَ وَبِمَـا كُنْتُمْ تَدْرُسُـونَ (79) وَلَا يَـأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِـذُوا الْمَلَائِكَـةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (80)}

مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ الله الكِتاب} أي التوراة والإنجيـل {والحكم} يعني الفهم {والنبـوة} وهـو عيسـى ابن مـريم عليهمـا السـلام {ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ} ما جاز له أن يقول للناس: {كُونُواْ عِبَـادًا لّى مِن دُونِ الله} ويقال: إن اليهودَ والنصارى اختلفوا فيما بينهم، فجاء الفريقان جميعاً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال كـل فريـق: نحن أولى بإبراهيم عليه السلام فقال لهم رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم: " كُلُّكُمْ عَلَى الخَطَأ " فغضبوا. وقـالوا: واللـه مـا تريـد إلا أن نتخذك حَنَّاناً، أي معبوداً، فأنزل الله تعالى {مَا كَـانَ لِبَشَـرٍ أَن يُؤْتِيَـهُ الله الكتاب}، يعني القرآن والحكم، يعـني الحلال والحـرام والنبـوة، ثم يقـول للنـاس كونـوا عبـاداً لي من دون اللـه {ولكن} يقـول لهم {كُونُواْ ربانيين} أي متعبدين ويقال كونوا علماء فقهاء.

قال الزجاج: الربانيون أرباب العلم، والبيـان، أي كـانوا علمـاء {بِمَـا كُنتُمْ تُعَلّمُونَ الكتاب} أي كونوا عاملين بما كنتم تعلمون، لأن العالم إنما يقال لـه عـالم إذا عمـل بمـا علم، وإن لم يعمـل بعلمـه، فليس بعـالم، لأن من ليس لـه من علمـه منفعـة، فهـو والجاهـل سـواء ثم قـال: {وَبِمَـا كُنتُمْ تَدْرُسُـونَ} يقـول بمـا كنتم تقـرؤون يعـني كونـوا

علماء بذلك عاملين به. قرأ ابن كثير ونافع، وأبو عمرو «بما كنتم تَعْلَمُون» بنصب التاء والتخفيف، يعني يُعَلِّمكم الكتاب ودراستكم والباقون بضم التاء والتشديد يعني تُعَلِّمُون غيركم فإنما يأمركم بذلك {وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ الملائكة والنبيين أرْبَابًا} يعني عيسى وعُزَيراً والملائكة صلوات الله عليهم، ولو أمركم بذلك لكَفَر، وتنزع النبوة منه {أَيَأْمُرُكُم بالكفر} يعني بعبادة الملائكة {بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} أي مخلصون بالتوحيد لله. قرأ عاصم وحمزة وابن عامر: ولا يَأْمُرَ بنصب الراء ينصرف إلى قوله {مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيهُ الله}، فيصير نصباً بأن، والباقون ولا يأمُركم بضم الراء على معنى الابتداء.

تفسير الآية رقم [81]

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آَتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (81)}

ثم قال تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النبيين} يعني الميثاق حيث أخرجهم من صُلْبِ آدم عليه السلام وَأَخَذَ عليهم الميثاق العهد أن يبلغ الأول الآخر، وأن يصدق الآخر الأول، فذلك قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق النبيين} يعني إقرار النَّبِيِّين {لَمَا ءاتَيْتُكُم} قرأ حمزة لِمَا آتيتكم بكسر اللام والتخفيف، يعني بما آتيتكم، والباقون بنصب اللام، ومعناه فما آتيتكم يعني، أي كتاب آتيتكم لتؤمنوا به. وقرأ بعضهم بنصب اللام والتشديد، أي حين آتيتكم {مّن كتاب وَحِكْمَةٍ} يعني بيان الحلال والحرام. وقرأ نافع آتيناكم بلفظ الجماعة، وهو لفظ الملوك، والباقون آتيتكم بلفظ الوحدان. ويقال: أخذ الميثاق بالوحي، فلم يبعث نبيّاً، إلا ذكر له محمداً صلى الله عليه وسلم ونعته، وأخذ عليه ميثاقه أن يبينه لقومه، وأن يأخذ منهم ميثاقهم أن يبينوه لمن بعدهم، ولا يكتمونه {ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ} يعني به أهل الكتاب، الذين كانوا في زمن النبيّ صلى الله عليه وسلم {مُّصَدّقٌ

لّمَا مَعَكُمْ} في التوحيد وبعض الشرائع، وذلك أن الله تعالى لما أخذ ميثاق الأنبياء، وأخذ الأنبياء الميثاق من قومهم بأن يبينوه، فلما قـدم النبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة، فكذبوه فذكرهم الله تعـالى مـا أتاهم بـه أنبيـاؤهم فقـال تعـالى: {وَإِذْ أَخَـذَ اللـه ميثـاق النبـيين لَمَـا ءاتَيْتُكُم مّن كتاب وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ} يعني محمد صـلى اللـه عليه وسلم مصدق لما معكم من التـوراة {لَتُـؤْمِنُنَّ بِـهِ} يعـني قـال لهم في الميثاق: لتـؤمنن بـه أي لتصـدقنه إذا بُعث {وَلَتَنصُـرُنَّهُ} إذا خرج {قَالَ} لهم {ءأَقْرَرْتُمْ} بتصديقه، يعني: هـل أقـررتم بمـا أخـذ عليكم من الميثاق بتصديقه ونصـره؟ {وَأَخَـذْتُمْ على ذلكم إِصْـرِى} يعني: هل قبلتم على ذلك عهـدي الـذي أخـذت عليكم على إيمـانكم بمحمد صـلى اللـه عليـه وسـلم؟ {قَـالُواْ أَقْرَرْنَـا قَـالَ} اللـه تعـالى {فَأَشْهدُواْ} بعضكم على بعض بأني قـد أخـذت عليكم العهـد {وَأَنَـاْ مَعَكُمْ مّنَ الشاهدين} على إقراركم.

قال الزجاج: قوله فاشهدوا، أي فاثبتوا، لأن الشاهد هو الذي يصـحح دعوى المدعي، {وَأَنَاْ مَعَكُمْ مّنَ الشـاهدين}، وشـهادة اللـه للنبـيين تبيينه أمـر نبـوتهم بالآيـات المعجـزات. وقـال القتـبي: أصـل الإصـر الثقل، فسمي العهد إصراً، لأنه يمنع صاحبه عن مخالفة الأمـر الـذي أخذ عليه فثقل.

تفسير الآيات رقم [82- 83]

{فَمَنْ تَـوَلَّى بَعْـدَ ذَلِـكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِـقُونَ (82) أَفَغَيْـرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُـونَ وَلَـهُ أَسْـلَمَ مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًـا وَكَرْهًـا وَإِلَيْـهِ يُرْجَعُونَ (83)}

قوله تعالى: {فَمَنْ تـولى بَعْـدَ ذلـك} أي أعـرض عن الإيمـان، وعن البيان بعد ذلـك الإقـرار والعهـد قولـه: {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الفاسـقون} أي الناقضون للعهد، ويقال: هم العاصـون، وأصـل الفسـق الخـروج من

الطاعة كقوله تعالى: {وَإِذَا قُلْنَا للملائكة اسجدوا لآِدَمَ فسجدوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الجن فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ للظالمين بَدَلاً} [سورة الكهف: 50] أي خرج عن طاعة ربه وقوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ} قال الكلبي: وذلك أن كعب بن الأشرف وأصحابه اختصموا مع النصارى إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم. فقالوا: أينا أحق بدين إبراهيم؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «كِلاَ الفَرِيقَيْنِ بَرِيءٌ مِنْ دِينِهِ» فقالوا: ما نرضى بقضائك، ولا نأخذ بدينك، فنزل قوله تعالى: {أَفَغَيْرَ دِينِ الله يَبْغُونَ} أي يطلبون، قرأ عاصم في رواية حفص {يَبْغُونَ} {وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} كلاهما بالياء. وقرأ أبو عمرو يبغون بالياء، وإليه ترجعون بالتاء، وقرأ الباقون كلاهما بالتاء على معنى المخاطبة، فمن قرأ بالياء، يعني أفغير دين الله يطلبون من عندك، ومن قرأ بالتاء يعني أفغير دين الله تطلبون، {وَلَهُ أَسْلَمَ}، أي أخلص وخضع {مَن فِى السموات والارض طَوْعًا وَكَرْهًا}.

قال الكلبي: أما أهل السموات، فأسلموا لله طائعين، وأما أهل الأرض، فمن ولد في الإسلام أسلم طوعاً، ومن أبى قُوتِل حتى دخل في الإسلام كرهاً، وما أفاء الله عليهم مما يسبون، فيجاء بهم في السلاسل، فيكرهون على الإسلام. وقال مجاهد: يسجد ظل المسلم ووجهه طائع، ويسجد ظل الكافر، وهو كاره. وقال مقاتل: وله أسلم من في السموات، يعني الملائكة والأرض، يعني المؤمنين طوعاً وكرهاً، يعني أهل الأديان يقولون الله ربكم وخالقكم، فذلك إسلامهم، وهم مشركون معنى قوله: {وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السموات والارض} يعني خضعوا من جهة ما فطرهم عليه ودبرهم، لا يمتنع ممتنع من جبلة ما جبل عليها، ولا يقدر على تغيير ما خلق عليها طوعاً وكرهاً. ثم قال: {وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} كما خلقكم، أي كما بدأكم فلا تقدرون على الامتناع، كذلك يبعثكم كما بدأكم. قرأ عاصم في رواية حفص يرجعون، وقرأ الباقون بالتاء.

تفسير الآية رقم [84]

{قُلْ آَمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (84)}

ثم قال: {قُلْ ءامَنَّا بالله} خاطب النبيّ صلى الله عليه وسلم، وأراد به أمته فقال: قل للمؤمنين إن لم يؤمن أهل الكتاب فقولوا أنتم آمنا بالله {وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق وَيَعْقُوبَ والاسباط وَمَا أُوتِىَ موسى وعيسى والنبيون مِن رَّبّهِمْ لاَ} وقد ذكرناه في سورة البقرة.

تفسير الآية رقم [85]

{وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآَخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85)}

قوله {وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسلامِ دِينًا} قال الكلبي: نزلت في شأن مرثد بن أبي مرثد، وطُعْمَة بن أُبَيْرق، ومقيس بن صبابة، والحارث بن سُوَيد، وكانوا عشرة. وقال مقاتل: كانوا اثني عشر. وقال الضحاك: يعني لا يقبل من جميع الخلق من أهل الأديان ديناً غير دين الإسلام، ومن يتدين غير الإسلام ديناً {فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى الاخرة مِنَ الخاسرين} أي من المغبونين، لأنه ترك منزله في الجنة، واختار منزله في النار.

تفسير الآيات رقم [86- 91]

{كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (86) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (87) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (88) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ

ذَلِـكَ وَأَصْـلَحُوا فَــإِنَّ اللَّهَ غَفُــورٌ رَحِيمٌ (89) إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا بَعْـدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَـلَ تَـوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّـالُّونَ (90) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَـلَ مِنْ أَحَـدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًـا وَلَـوِ افْتَـدَى بِـهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ وَمَـا لَهُمْ مِنْ نَاصِـرِينَ (91)}

{كَيْفَ يَهْدِى الله قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إيمانهم وَشَـهِدُواْ أَنَّ الرسـول حَـقٌّ وَجَاءهُمُ البينات} أي بعدما ظهر لهم العلامات {والله لاَ يَهْدِى القوم الظالمين} فـإن قيـل في ظـاهر الآيـة أن من كفـر بعـد إسـلامه، لا يهديـه اللـه، ومن كـان ظالمـاً لا يهديـه اللـه، وقـد رأينـا كثـيراً من المرتـدين، أسـلموا وهـداهم اللـه، وكثـيراً من الظـالمين تـابوا عن الظلم. قيــل لــه: لا يهــديهم اللــه مــا دامــوا مقيمين على كفــرهم وظلمهم، ولا يُقْبِلُون إلى الإسلام، فأما إذا جاهدوا، وقصدوا الرجوع، وفقهم الله لذلك لقوله: {والذين جاهـدوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ الله لَمَعَ المحسنين} [سـورة العنكبـوت: 69] وتأويـل آخـر: {كَيْـفَ يَهْدِى الله} يقول: كيف يرشدهم إلى الجنة؟ كما قـال في آيـة: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ وَظَلَمُـواْ لَمْ يَكُنِ اللـه لِيَغْفِـرَ لَهُمْ وَلاَ لِيَهْـدِيَهُمْ طَرِيقـاً} [النسـاء: 168] ويقـال: كيـف يـرحمهم اللـه وينجيهم من العقوبـة؟ ويقال: كيـف يغفـر اللـه لهم؟ وقـالت المعتزلـة: كَيْـفَ يَهْـدِي اللـه؟ معناه: كيف يكونـون مهتـدين، لأنهم لا يـرون الهدايـة، والاهتـداء في الابتداء إلا على سبيل الجزاء، ويرون ذلك من كسب العبد. ثم قـال: {أُوْلَئِكَ جَزَآؤُهُمْ} يعني أهل هذه الصفة الـتي ذكـر {أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَـةَ اللــه} أي سـخط اللــه. ويقــال: الطــرد والتبعيـد من رحمــة اللــه والخذلان. ويقال: يلعنهم بالقول: {والملئكة} يعني عليهم لعنة اللــه والملائكة {والنـاس أَجْمَعِينَ} إذا لعن رجـل رجلاً، فـإن لم يكن أَهْلاً لــذلك، رجعت اللعنــة إلى الكفــار، ويقــال: من لم يكن على دينهم، يلعنهم في الـدنيا، ومن كـان على دينهم، يلعنهم في الآخـرة. لقولـه تعالى: {وَقَالَ إِنَّمَا اتخذتم مِّن دُونِ الله أوثانا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى الحياة الــدنيا ثُمَّ يَـوْمَ القيامــة يَكْفُـرُ بَعْضُــكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُــكُمْ بَعْضـاً وَمَأْوَاكُمُ النار وَمَا لَكُمْ مِّن ناصرين} [سـورة العنكبـوت: 25] فـذلك قوله تعالى: {والناس أَجْمَعِينَ}.

ثم قال تعالى: {خالدين فِيهَا} يعني في اللعنـة فيمـا توجبـه اللعنـة، وهو عذاب النار خالدين فيهـا {لاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ العـذاب} أي لا يهـون عليهم العذاب {وَلاَ هُمْ يُنظَرُونَ} أي لا يؤجلـون. ثم اسـتثنى التوبـة فقال تعالى: {إِلاَّ الذين تَابُواْ مِن بَعْدِ ذلك وَأَصْلَحُواْ} يقول: من بعــد الكفر، وأصلحوا أعمالهم بالتوبـة. ويقـال: أصـلحوا لمن أفسـدوا من الناس {فَإِنَّ الله غَفُـورٌ رَّحِيمٌ} لمـا كـان منهم في الكفـر رحيم بهم بعد التوبة. قال الكلبي ومقاتـل لمـا نـزلت هـذه الآيـة، أي الرخصـة بالتوبة، كتب أخو الحارث بن سُوَيْد، إلى الحارث: إن الله قد عــرض عليكم التوبـة، فرجـع وتـاب. وبلـغ ذلـك إلى أصـحابه الـذين بمكـة، فقالوا: إن محمداً تتربص بـه ريب المنـون. فقـالوا: نقيم بمكـة على الكفر، متى بدا لنا الرجعة رجعنا، فينزل فينـا مـا نـزل في الحـارث، فتقبل توبتنا فـأنزل اللـه تعـالى: {إِنَّ الـذين كَفَـرُواْ بَعْـدَ إيمـانهم ثُمَّ ازدادوا كُفْرًا} أي ثبتوا على كفرهم بقـولهم: نقيم بمكـة مـا بـدا لنـا {لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ} ما أقاموا على الكفر.

قـال الزجـاج: كـانوا كلمـا نـزلت آيـة كفـروا بهـا، فكـان ذلـك زيـادة كفرهم. وقوله: {لَّن تُقْبَلَ تَـوْبَتُهُمْ}، أي تـوبتهم الأولى، وحبـط أجـر عملهم. ويقال: {لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ}، معناه أنهم لن يتوبوا. كمـا قـال: {واتقوا يَوْمًا لاَّ تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شفاعة وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ} [سورة البقـرة: 48]، أي لا يشـفع لها أحد، ثم قـال تعـالى: {وَأُوْلَئِكَ هُمُ الضـالون} عن الإسـلام، وهم الذين لم يتوبـوا {إِنَّ الـذين كَفَـرُواْ وَمَـاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَـلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الارض ذَهَبًـا وَلَـوِ افتـدى بِـهِ} قـال الكلـبي: يعـني وزن الأرض ذهباً.

وقال مقاتل: إن الكافر إذا عاين النار في الآخرة، يتمنى أن يكون له الأرض ذهباً، فيقدر على أن يفتدي به نفسه من العذاب، لافتـدى بـه ولو افتدى به ما تقبل منـه، {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ}، ونظيرهـا في سـورة المائـدة {إِنَّ الـذين كَفَـرُواْ لَـوْ أَنَّ لَهُمْ مَّا فِى الارض جَمِيعـاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَـدُواْ بِـهِ مِنْ عَـذَابِ يَـوْمِ القيامـة مَـا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ

عَـذَابٌ أَلِيمٌ} [المائـدة: 36]. قولـه تعـالى: {أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مّن ناصرين} الآية.

تفسير الآية رقم [92]

{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُـوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَـا تُنْفِقُـوا مِنْ شَـيْءٍ فَـإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ (92)}

{لَن تَنَالُواْ البر حتى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ} قـال ابن عبـاس في روايـة أبي صالح أنه قال لن تنالوا ما عند اللـه من ثوابـه في الجنـة، حـتى تنفقوا مما تحبـون، أي حـتى تخرجـوا أمـوالكم طيبـة بهـا أنفسـكم. وقال مقاتل: يعني لن تنـالوا التقـوى، حـتى تنفقـوا ممـا تحبـون من الصـدقة، أي بعض مـا تحبـون من الأمـوال {وَمَـا تُنفِقُـواْ مِن شَـئ} يعني الصدقة وصلة الرحم {فَإِنَّ اللـه بِـهِ عَلِيمٌ} أي لا يخفى عليـه، فيثيبكم عليه. ويقال: لن تنالوا البر حتى تستكملوا التقوى. ويقال: لا تكونوا بارين، حتى تنفقوا مما تحبون، أي من الصـدقة، أي بعض مـا تحبون من الأموال.

وروي عن عمر بن عبد العزيز، أنه كان يشـتري أعـدالاً من السُّـكَّر، ويتصدق بها. فقيل له: هلا تصـدقت بثمنـه؟ فقـال: لأنَّ السُّـكَّر أَحبّ إِليَّ، فأردت أن أتصدق مما أحب.

وروي عن عبد اللهِ بن عمر أنه اشترى جاريـة جميلـة، وكـان يحبهـا، فمكثت عنده أياماً، ثم أعتقها وزوجها من رجل، فَوُلِد لها ولد، فكـان يأخذ ولدها، ويضمّه إلى نفسه. ويقول: أشـم منـك ريح أمـك. فقيـل له: قـد رزقـك اللـه من حلال، وأنت تحبهـا، فلم تركتهـا؟ فقـال: ألم تسمع هذه الآية: {لَن تَنَالُواْ البر حتى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ}. وروي عن عائشة رضي الله عنها أنهـا كـانت تقـرأ في مصـحف مـذهب، فلمـا انتهت إلى هذه الآية باعته، وتصدقت بثمنه.

تفسير الآية رقم [93]

{كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (93)}

قوله تعالى: {كُلُّ الطعام كَانَ حِلاًّ لّبَنِى إسراءيل} قال في رواية الكلبي: خرج يعقوب إلى بيت المقدس، فلقيه ملك في الطريق، فظن يعقوب أنه لص، فعالجه، فغمز الملك رجل يعقوب، فهاج به عرق النساء، فنذر أن يحرم أحب الطعام إليه إن برأ من ذلك لما رأى فيه من الجهد. فلما برأ كان أحب الطعام إليه لحوم الإبل وألبانها، فحرمها على نفسه. فقالت اليهود: هذا التحريم من الله تعالى في التوراة، فنزل قوله تعالى: {كُلُّ الطعام كَانَ حِلاًّ لّبَنِى إسراءيل} أي كان حلالاً، إلا الميتة والدم ولحم الخنزير ثم قال: {إِلاَّ مَا حَرَّمَ إسراءيل على نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التوراة} وليس تحريمها في التوراة ثم قال لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} لليهود {فَأْتُواْ بالتوراة فاتلوها} يعني اقرؤوها {إِن كُنتُمْ صادقين} بأن تحريمها في التوراة، لأنهم كانوا يقولون: إن ذلك حرام من وقت نوح، وأنت وأصحابك تستحلونها. وقال الضحاك: إن يعقوب لما أصابه عرق النساء، أمره الأطباء أن يتجنب لحوم الإبل، فحرم على نفسه لحوم الإبل. فقالت اليهود: حرَّمْناها على أنفسنا، لأن يعقوب حرّمها على نفسه، فنزل تحريمها في التوراة، فنزلت الآية ويقال معناه كل طعام هو حلال لأمتك، مثل ما كان حلالاً لبني إسرائيل، إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، وبعضها حُرّم عليهم بذنوبهم. وقال الزجاج: هذه الآية أعظم دليل لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، لأنه أخبرهم بأنه ليس في كتابهم، وأمرهم بأن يأتوا بالتوراة، فأبوا وعرفوا أنه قال ذلك بالوحي.

تفسير الآيات رقم [94- 95]

{فَمَنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (94) قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (95)}

ثم قال تعالى: {فَمَنِ افترى عَلَى الله الكذب} يعني اختلق على الله الكذب {مِن بَعْدِ ذلك} البيان في كتابهم {فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظالمون} يعني يظلمون أنفسهم {قُلْ صَدَقَ الله} أن تحريمه ليس في التوراة. ويقال: قُلْ صَدَقَ الله، حين قال: {مَا كَانَ إبراهيم يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ المشركين} [آل عمران: 67] {فاتبعوا مِلَّةَ إبراهيم حَنِيفاً} أي مخلصاً مستقيماً، وكلوا لحوم الإبل وألبانها، كما أكلها إبراهيم، ولا تحرموا على أنفسكم شيئاً بأهوائكم {وَمَا كَانَ} إبراهيم {مِنَ المشركين} يعني على دينهم.

تفسير الآيات رقم [96- 97]

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ (96) فِيهِ آَيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آَمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ (97)}

{إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ} قال مقاتل يعني أول مسجد وضع للناس، أي للمؤمنين. ويقال: أول موضع خلق، هو موضع الكعبة للناس، أي قبلة للناس {لَلَّذِى بِبَكَّةَ} قال الكلبي: إنما سمي بكة، لأن الناس يبك بعضهم بعضاً، أي يزدحم.

وقال الزجاج: بكة موضع البيت، وسائر ما حواليه مكة. وقال القتبي: بكة ومكة شيء واحد، والباء تبدل من الميم. كما يقال سمد رأسه وسبده إذا استأصله، أي قلع بأصله. ويقال: بكة موضع

المسجد، ومكة البلد حوله. ثم قال تعالى: {مُبَارَكـاً} أي فيهـا بركـة ومغفرة للذنوب {وَهُدًى للعالمين} يعني قبلة لمن صلّى إليها، وذلك أن اليهـود قـالوا للمؤمـنين: لم عمـدتم إلى الحجـارة تطوفـون بهـا وتصلون إليها؟ وجعلوا يعظمون بيت المقدس، فنزلت هذه الآية.

وروى الكلـبي أن آدم عليـه السـلام بـنى الـبيت، فلمـا كـان زمـان الطوفان، رفع إلى السماء السادسة بحيال الكعبة، يدخلـه كـل يـوم سبعون ألف ملك، لم يدخلوه قط قبلـه. ويقـال: أنـزل من السـماء، وهو من ياقوتة حمراء، فلما كان زمان الطوفـان، رفـع إلى السـماء الرابعة. ثم قال تعالى: {فِيهِ ءايات بينات} يعني علامـات واضـحات كالحجر الأسود والحطيم {مَّقَامِ إبراهيم}.

وروي عن عبـد اللـه بن عبـاس أنـه كـان يقـرأ فيـه آيـة بينـة مقـام إبراهيم. وقرأ غيره آيات بينات مقام إبراهيم، ومعناه من تلك الآيات مقام إبراهيم {وَمَن دَخَلَهُ} يعني الحرم {كَـانَ ءامِنـاً} يعـني أن من دخل فيه، فإنه لا يهاج منه إذا وجب عليه القتل خـارج الحـرم {وَللَّهِ عَلَى النـاس حِجُّ الـبيت} قـرأ حمـزة والكسـائي وعاصـم في روايـة حفص حِجُّ بكسر الحـاء، والبـاقون بالنصـب، وهمـا لغتـان ومعناهمـا واحـد. {مَنِ اسـتطاع إِلَيْـهِ سَـبِيلاً} أي بلاغـاً والاسـتطاعة هي الـزاد والراحلـة وتخليـة الطريـق. ويقـال: وللـه على النـاس فريضـة حج البيت. ثم قال: {وَمَن كَفَرَ} يعني ومن لم يرَ الحج واجباً فقـد كفـر، فذلك قوله {وَمَن كَفَرَ}. {فَإِنَّ الله غَنِىٌّ عَنِ العالمين} يعـني غـني عمن حج، وعمن لم يحج.

قال الفقيه: حدّثني أبي قال: حدّثني أبو بكر المعلم قـال: حـدثنا أبـو عمران الفارابي قال: حدّثنا عبد الرحمن بن حبيب قـال: حـدثنا داود بن المحبر قال: حدّثنا عبـاد بن كثـير عن عبـد خـير عن علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال في خطبتـه: «أَيُّهـا النَّاسُ إنَّ الله تَعَالَى فَرَضَ الحَجَّ عَلَى مَنِ اسْتَطَاعَ إليـهِ سَـبِيلاً، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلْيَمُتْ عَلَى أَيِّ حَالٍ يَهُودِيّاً أَوْ نَصْـرَانِيّاً أَوْ مَجُوسِـيّاً، إلاَّ أَنْ

يَكُـونَ بِـهِ مَـرَضٌ أوْ مَنْـعٌ مِنْ سُـلْطَانٍ جَـائِرٍ، ألا لا تَصِـيبَ لَـهُ مِنْ شَفَاعَتِي، وَلا يَرِدُ حَوْضِي»

وروي عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنـه قال: «السَّبِيلُ الزَّادُ والرَّاحِلَـةُ» وكـذلك روي عن ابن عبـاس. وقـال مجاهد: مقام إبراهيم أثر قدميه.

تفسير الآيات رقم [98- 99]

{قُـلْ يَـا أَهْـلَ الْكِتَـابِ لِمَ تَكْفُـرُونَ بِآيَـاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَـهِيدٌ عَلَى مَـا تَعْمَلُونَ (98) قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَنْ سَـبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ (99)}

ثم قال: {قُلْ ياأهل الكتاب} يعـني اليهـود والنصـارى {لِمَ تَكْفُـرُونَ بئيات الله} يعني لم تكفرون بالحج والقرآن ومحمد صلى الله عليـه وسلم، {والله شَـهِيدٌ عَلَى مَـا تَعْمَلُـونَ} من الجحـود والكفـر {قُـلْ ياأهل الكتاب لَمَ تَصُـدُّونَ} يقـول: لم تصـرفون النـاس {عَن سَـبِيلِ الله} أي عن دين الله الإسلام والحج {تَبْغُونَهَـا عِوَجـاً} أي تطلبونهـا تغيراً وزيناً {وَأَنْتُمْ شُهَدَاء} أن ذلك في التوراة {وَمَا الله بغافل عَمَّا تَعْمَلُونَ} من كتمان صفة محمد صلى الله عليه وسلم ونعته. ويقال في اللغة ما كان ينتصب انتصاب العود والحائط يقال: عوج بالنصب، وما لم ينتصب مثل الأرض والكلام. ويقال: عوج كما قال تعالى: {لاَّ ترى فِيهَا عِوَجاً ولا أَمْتاً} [طه: 107] وقـال تعـالى: {ولم يجعـل لـه عوجاً. قيماً} [طه: 107] وقال تعالى: {الحمد لِلَّهِ الـذى أَنْـزَلَ على عَبْدِهِ الكتاب وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْسًـا شَـدِيدًا مِّن لَّدُنْـهُ وَيُبَشِّـرَ المؤمـنين الـذين يَعْمَلُـونَ الصـالحات أَنَّ لَهُمْ أَجْـرًا حَسَـنًا} [الكهف: 1/ 2].

تفسير الآيات رقم [100- 101]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ (100) وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آَيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (101)}

ثم قال تعالى: {ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقاً} يقول طائفة {مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب} وهم رؤساء اليهود {يَرُدُّوكُم بَعْدَ إيمانكم كافرين} بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن، لأنهم كانوا يدعون إلى الكفر، واتباع مذهبهم، وكان يتبعهم بعض المنافقين، فنهى الله تعالى المؤمنين عن متابعتهم. ثم قال تعالى على وجه التعجب: {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ} يقول: كيف تجحدون بوحدانية الله تعالى وبمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن؟ {وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تتلى عَلَيْكُمْ} يقول: يُقْرَأُ عَليكم القرآن، وفيه دلائله وعجائبه، {وَفِيكُمْ رَسُولُهُ} يعني معكم محمد صلى الله عليه وسلم.

قال الزَّجاج: يجوز أن يكون هذا الخطاب لأصحاب محمد صلى الله عليه وسلم خاصة، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فيهم، وهم يشاهدونه، ويجوز أن يكون هذا الخطاب لجميع الأمة، لأن آثاره وعلاماته، والقرآن الذي أتى به فينا فكأن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا، وإن لم نشاهده. ثم قال عزّ وجلّ: {وَمَن يَعْتَصِم بالله} يقول: يتمسك بدين الله {فَقَدْ هُدِىَ إلى صراط مّسْتَقِيمٍ} يقول وفق وأرشد من الضلالة {إلى صراط مُّسْتَقِيمٍ} يعني الطريق الذي يسلك به إلى الجنة، وهو دين الإسلام.

تفسير الآيات رقم [102- 107]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (102) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا

وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَـذَكُمْ مِنْهَـا كَـذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آَيَاتِـهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَـدُونَ (103) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَـدْعُونَ إِلَى الْخَيْـرِ وَيَـأْمُرُونَ بِـالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُـونَ (104) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَـاءَهُمُ الْبَيِّنَـاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (105) يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُـوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَـا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (106) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (107)}

{مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا اللـه حَـقَّ تُقَاتِـهِ} يقـول: أطيعـوا الله حق طاعته، وحق طاعته أن يطـاع فلا يعصـى طرفـة عين، وأن يشكر فلا يكفر طرفة عين، وأن يذكر فلا ينسى طرفـة عين، فشـقّ ذلك على المسلمين، فأنزل الله تعالى: {فـاتقوا اللـه مَـا اسـتطعتم واسـمعوا وَأَطِيعُـواْ وَأَنْفِقُـواْ خَيْـراً لأَنفُسِـكُمْ وَمَن يُـوقَ شُـحَّ نَفْسِـهِ فأولئك هُمُ المفلحون} [التغابن: 16] فنسخت هذه الآية. هكذا قـال الكلبي والضحاك ومقاتـل، وغـيرهم من المفسـرين: إن هـذه الآيـة منسوخة. وقال بعضهم: لا يجوز أن يقال هذه الآية منسوخة، لأنـه لا يجوز أن يأمرهم بشيء لا يطيقونه، ولكن الجواب أن يقال عن هـذا إنهم يطيقونـه، ولكن تلحقهم مشـقة شـديدة، ولأن ذلـك مجهـود الطاقة، ولا يستطيعون الدوام عليه، والله تعـالى لا يكلـف عبـاده إلا دون مـا يطيقـون، فخفَّف عنهم بقولـه تعـالى: {فـاتقوا اللـه مَـا استطعتم واسمعوا وَأَطِيعُواْ وَأَنْفِقُواْ خَيْـراً لأَنفُسِـكُمْ وَمَن يُـوقَ شُـحَّ نَفْسِهِ فأولئـك هُمُ المفلحـون} [التغـابن: 16] ولم ينسـخ آخـر الآيـة أولها، وهو قوله تعالى: {وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} يعـني اثبتـوا على الإسـلام، وكونـوا بحـال يلحقكم المـوت، وأنتم على الإسـلام {واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً} يقول: تمسَّكوا بـدين اللـه وبـالقرآن. ويقـال: تمسـكوا بسـبيل السـنة والهـدى، {وَلاَ تَفَرَّقُـواْ}. يقـول: ولا تختلفوا في الدين، كاختلاف اليهود والنصارى. ويقال: لا تختلفوا فيما بينكم بالعداوة والبغضاء ويقال {واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعاً} يعـني: اطلبوا النصرة من الله لا من القبائل والعشيرة. ويقال: {واعتصموا بِحَبْلِ الله جَمِيعـاً}، يعـني مـا اشـتبه عليكم، فـردوه إلى كتـاب اللـه

كقوله تعـالى: {يَأَيُّهَـا الـذين ءَامَنُـواْ أَطِيعُـواْ اللـه وَأَطِيعُـواْ الرسـول وَأُوْلِى الامر مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِى شَئ فَـرُدُّوهُ إِلَى اللـه والرسـول إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بالله واليوم الاخر ذلك خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً} [النساء: 59] وقال بعض الحكماء: إن مثل من في الدنيا، كمثل من وقـع في بئر، فيها من كل نوع من الآفات، فلا يمكنـه أن يخـرج منهـا والنجـاة من آفاتها إلا بحبل وثيق، فكذلك الدنيا دار محنة، وفيها كـل نـوع من الآفات، فلا سـبيل إلى النجـاة منهـا إلا بالتمسـك بحبـل وثيـق، وهـو كتاب الله تعالى.

ثم ذكَّرهُم نعمته فقال تعالى: {اذكروا} نعمتي واحفظوا {نِعْمَةَ الله عَلَيْكُمْ} الإسلام {إِذْ كُنتُم أَعْدَاء} في الجاهليـة {فَـأَلَّفَ} اللـه {بَيْنَ قُلُوبِكُمْ} يعني جمع بين قلوبكم بالإسـلام تـودُّداً {فَأَصْـبَحْتُم بِنِعْمَتِـهِ إِخْوَانًا} يقول: فصرتم بنعمة الإسلام {إِخْوَانًا} في الـدين، وكـل مـا ذكر في القرآن أصبحتم، معناه صِرْتم، كقوله: {أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا} [الكهـف: 41] أي صـار مـاؤكم غـوراً، وهـذه الآية نزلت في شأن الأوس والخزرج، كان بينهم قتال قبـل الإسـلام بأربعين عاماً، حتى كادوا أن يتفانوا، فلما بُعث النبيّ صلى الله عليـه وسلم بمكـة آمن بـه الأوس والخـزرج، وهم بالمدينـة، ثم خـرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، قبل أن يهاجر منهم سبعون رجلاً، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعـه عمـه العبـاس حتى أتى إلى العقبة إلى سبعين رجلاً من الأنصار فعاهدوه ثم رجعوا إلى المدينة، وهـاجر النـبيّ صـلّى اللـه عليـه وآلـه وسـلّم إليهم بعـد الحـولين، فـوقعت بين الأوس والخـزرج أُلْفَـةٌ، وزالت عنهم العـداوة التي كانت بينهم في الجاهلية بالإسلام، وهذا كما ذكر في آية أخرى:

{وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُـوبِهِمْ لَـوْ أَنفَقْتَ مَـا فِى الارض جَمِيعـاً مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ولكن الله أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [الأنفال: 63].

وروي عن جـابر بن عبـد اللـه أن رجلين من الأنصـار: أحـدهما من الأوس، والآخر من الخزرج، تفاخرا فيما بينهما، واقتتلا، فاستعان كل واحـد منهمـا بقومـه، فـاجتمعت الأوس والخـزرج، وأخـذوا السـلاح،

وخرجوا للحرب، فبلغ الخبر إلى رسول الله صلى الله عليـه وسـلم، فخرج إليهم في ثلاثين من المهاجرين، وهو راكب على حمار له قال جابر: فما كان من طالع يومئذ أكرم إلينا من رسول الله صـلى اللـه عليه وسلم، إذ طلع علينا، فأومأ إلينا بيده، فكففنا، ووقف بيننـا على حمار له فقال: {مّسْتَقِيمٍ ياأيها الذين ءامَنُواْ اتقوا اللـه حَـقَّ تُقَاتِـهِ} إلى قولـه: {واذكـروا نِعْمَـةَ اللـه عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُم أَعْـدَاء فَـأَلَّفَ بَيْنَ قُلُـوبِكُمْ}. إلى قولـه: {عَـذَابٌ عظِيمٌ} فَـأَلْقوا السـلاح وأطفـؤوا الحرب الـتي كـانت بينهم، وعـانق بعضـهم بعضـاً يبكـون، فمـا رأيت الناس أكثر باكياً من يومئـذ، فلم يكن في الأرض شـخص أحب إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد نزول هذه الآية.

ثم قـال تعـالى: {وَكُنتُمْ على شَـفَا حُفْـرَةٍ مّنَ النـار} قـال القتـبي: أشفى على كذا إذا أشرف عليـه {شَـفَا حُفْـرَةٍ}، أي حـرف حفـرة، ومعنـــاه وكنتم في الجاهليـــة على هلاك بالشـــرك من مـــات في الجاهلية كان في النار {فَأَنقَذَكُمْ مّنْهَـا} بعـدما كنتم على حـرف من النار {كَذَلِكَ يُبَيّنُ الله لَكُمْ آياته} يعني علاماته حيث كنتم أعـداء في الجاهليـة إخوانـاً في الإسـلام {لَعَلَّكُمْ تَهْتَـدُونَ} أي لكي تهتـدوا من الضلالة، وتعرفوا علامته بهذه النعمـة {وَلْتَكُن مّنْكُمْ أُمَّةٌ} فهـذه لام الأمر كقوله: {قُـلْ إِنَّمَـآ أَنَـاْ بَشَـرٌ مِّثْلُكُمْ يـوحى إِلَىَّ أَنَّمَـآ إلهكم إلـه وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالحا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَـادَةِ رَبِّهِ أَحَدَا} [الكهف: 110] يعني لتكن منكم أمة.

قال الكلبي: يعني جماعة. وقال مقاتل: يعـني عصـبة وقـال الزجـاج ولتكونـوا كلكم أمـة واحـدة تـدعون إلى الخـير ومن هاهنـا لتخص المخاطبين من بين سائر الأجناس، وهي مؤكدة كقوله تعالى: {ذلك وَمَن يُعَظِّمْ حرمات الله فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الانعـام إِلاَّ مَا يتلى عَلَيْكُمْ فاجتنبوا الرجس مِنَ الاوثان واجتنبوا قَوْلَ الزور}

[الحج: 30] وقوله: {يَدْعُونَ إِلَى الخير} يعني إلى الإسـلام. ويقـال: إلى جميع الخيرات {وَيَأْمُرُونَ بالمعروف} قال الكلبي: يعـني باتبـاع محمد صلى اللـه عليـه وسـلم {وَيَنْهَـوْنَ عَنِ المنكـر} يعـني الجبت

والطـاغوت. ويقـال: المنكـر، يعـني العمـل الـذي بخلاف الكتـاب والسنة. ويقال: ما لا يصلح في العقل.

وروي عن سفيان الثـوري أنـه قـال إنمـا يجب النهي عن المنكـر إذا فعل فعلاً يخرج عن الاختلاف، أي إختلاف العلماء. ويقـال: إنمـا أمـر بعض الناس بقوله، {وَلْتَكُن مِّنْكُمْ أُمَّةٌ}، ولم يأمر جميع النـاس، لأن كل واحد من الناس لا يحسن الأمر بالمعروف، وإنمـا يجب على من يعلم. ويقال: إن الأمـراء، يجب عليهم الأمـر والنهي باليـد، والعلمـاء باللسان، والعوام بالقلب، وهنا كما قال عليه الصـلاة والسـلام: «إذا رَأَى أَحَـدٌ مُنْكَـراً، فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَـدِهِ، فـإنْ لَمْ يَسْـتَطِعْ فَبِلِسَـانِهِ، فَـإنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وذلك أَضْعَفُ الإيمانِ»

وروي عن عبـد اللـه بن مسـعود أنـه قـال: بحسـب امـرئ إذا رأى منكراً، لا يستطيع النكير أن يعلم الله من قلبه أنـه كـاره. وروي عن بعض الصحابة أنه قال: إن الرجل إذا رأى منكراً، لا يسـتطيع النكـير عليه، فليقل ثلاث مرات: اللهم إِنَّ هـذا منكـر، فـإذا قـال ذلـك فقـد فعل ما عليه.

ثم قـال تعـالى: {وأولئـك هُمُ المفلحـون} يعـني الـذين يـأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر هم الناجون. ويقال: فازوا بـالنعيم. ثم قـال: {وَلاَ تَكُونُـواْ} في الاختلاف {كالـذين تَفَرَّقُـواْ} وهم اليهـود والنصارى {واختلفوا مِن بَعْدِ مَـا جَـاءهُمُ البينـات} فـافترقت اليهـود فرقـاً والنصـارى فرقـاً، فنهى اللـه المؤمـنين عن ذلـك، ثم خـوفهم فقـال: {وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَـذَابٌ عَظِيمٌ} يعـني دائم لا يرفـع عنهم أبـداً، يعني الذين اختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات، أي العلامات في أمر محمد صلى الله عليه وسلم، وبيان الطريق.

ثم بَيَّن منازل الذين تفرقوا، والذين لم يتفرقوا فقـال تعـالى: {يَـوْمَ تَبْيَضُّ وُجُـوهٌ وَتَسْـوَدُّ وُجُـوهٌ} يعـني يـوم القيامـة حين يبعثـون من قبـورهم. ويقـال: إن ذلـك عنـد قولـه تعـالى: {وامتـازوا اليـوم أَيُّهَـا المجرمون} [يس: 59] تكون وجوه المؤمنين مُبْيَضّة، ووجوه الكفار

مُسْوَدَّة. ويقال: إن ذلك عند قراءة الكتـاب، إذا قـرأ المـؤمن كتابـه، فرأى في كتابه حسـناته، استبشـر وابيضّ وجهـه، وإذا قـرأ المنـافق والكافر كتابه، فرأى فيه سيئاته، اسودّ وجهـه. ويقـال: إن ذلـك عنـد الميزان، إذا رجحت حسناته ابيضّ وجهه، وإذا رجحت سـيئاته اسـودّ وجهه. ويقال: إذا كان يوم القيامة يؤمر كـل قـوم بـأن يجتمعـوا إلى معبـودهم، فـإذا انتهـوا إليـه حزنـوا، واسـودّت وجـوههم، فيبقى المؤمنون، وأهل الكتاب والمنافقون، فيقول اللـه تعـالى للمؤمـنين: من ربكم؟ فيقولون: ربنا الله عزّ وجلّ.

فيقـول لهم: أتعرفونـه إذا رأيتمـوه؟ فيقولـون: سـبحانه إذا عرفنـا، عرفناه فيرونه كمـا شـاء اللـه، فيخـر المؤمنـون سـجداً للـه تعـالى، فتصير وجوههم مثل الثلج بياضاً، وبقي المنـافقون وأهـل الكتـاب، لا يقدرون على السجود، فحزنوا واسودّت وجوههم، فذلك قوله: {يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ}. {فَأَمَّا الذين اسـودت وُجُـوهُهُمْ أَكْفَـرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم} يعني يقال لهم: أكفرتم؟ ولكن حُـذِفَ القـول، لأن في الكلام دليلاً عليه بعد إيمانكم، يعني يـوم الميثـاق. قـالوا: بَلَى، يعـني المرتدين والمنافقين. ويقال هذا لليهود، وكانوا مؤمنين بمحمد صلى اللـه عليـه وسـلم، قبـل أن يُبْعث، فلمـا بُعث كفـروا بـه. وقـال أبـو العالية: هذا للمنافقين خاصة. يقول: أكفرتم في السرِّ بعد إيمـانكم، أي مع إقـراركم في العلانيـة {فَـذُوقُواْ العـذاب بِمَـا كُنْتُمْ تَكْفُـرُونَ} بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن. حدّثنا الخليل بن أحمد. قال: حدّثنا عباد بن الوليد قال: حدّثنا محمد بن عبـاد البنـائي قـال: حـدّثنا حميد بن الخياط قال: سألت أبا العالية عن هذه الآيـة: {فَأَمَّا الـذين اسودت وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانكم} فقـال: حـدّثنا أبـو أمامـة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنَّهُمُ الخَوَارِجُ» وسـألته عن قوله: {لاَ تَتَّخِـذُواْ بِطَانَـةً مّن دُونِكُمْ} [آل عمـران: 118] قـال: إنهم الخوارج قوله: {وَأَمَّا الذين ابيضت وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَـةِ اللـه} أي في جنـة اللـه قـال الزجـاج: يعـني في الجنـة الـتي صـاروا إليهـا برحمة اللـه تعـالى، لأن الجنـة تُنَـالُ برحمتـه، ولا تُنَـال بالجهـد، وإن اجتهد المجتهد، لأن نعمة الله تعالى لا يكافئها عمل، ففي رحمة الله أي في ثواب الله {وَهُمْ فِيهَا خالدون} أي دائمون.

▲ تفسير الآيات رقم [108- 109]

{تِلْكَ آَيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ (108) وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ (109)}

تلك آيات الله} يعني القرآن {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ} يعني ننزل جبريل فيقرأ عليك {بالحق} أي بالصدق. وقال الزجاج: تلك آيات الله أي تلك التي جرى ذكرها، حجج الله وعلاماته {نَتْلُوهَا عَلَيْكَ}، أي نعرّفك إياها {وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْماً للعالمين} يعني لا يعذبهم بغير ذنب {وَلِلَّهِ مَا فِى *** السموات والارض} قال بعضهم: هذا معطوف على الأول، كأنه يقول: {وَمَا الله يُرِيدُ ظُلْماً للعالمين} لأنهم كلهم عبيده ومخلوقه ومرزوقه، فلا يريد ظلمهم. وقال بعضهم: هذا ابتداء كلام، بين لعباده أن جميع ما في السموات وما في الأرض له، حتى يسألوه ويعبدوه، ولا يعبدوا غيره. ثم قال تعالى: {وَإِلَى الله تُرْجَعُ الامور} يقول: تصير أمور العباد إلى الله في الآخرة.

▲ تفسير الآيات رقم [110- 111]

{كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ (110) لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (111)}

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} قال الكلبي: أخبر الله تعالى أن خير الدين عند الله دين أهل الإسلام، ووصفهم بالوفاء فقال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}... يقول: كنتم خير أهل دين كان الناس لا يظلمون من خالطهم منهم، أو من غيرهم، فجعلهم الله خير الناس للناس {تَأْمُرُونَ بالمعروف} ويقال: خير أمة أخْرِجَت للناس، تأمرون بالمعروف، فتقاتلون الكفار ليسلموا، فترجع منفعتهم إلى غيرهم.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «خيرُ النَّاسِ مَنْ يَنْفَعُ النَّاس» ويقال: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ} يعني: كنتم عند الله في اللوح المحفوظ. ويقال: كنتم مذ أنتم خير أُمَّة. ويقال: هذا الخطاب لأصحاب النبيّ صلى الله عليه وسلم، يعني أنتم خير الأمة. كما قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «خَيْرُ القُرُونِ أَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ» ثُمَّ وَصَفَهُمْ، فقال: {تَأْمُرُونَ بِالمعروف} أي بالتوحيد والإسلام. {وَتَنْهَوْنَ عَنِ المنكر} أي عن الشرك {وَتُؤْمِنُونَ بالله} أي تصدقون بتوحيد الله، وتثبتون على ذلك. وقال الزجاج: تؤمنون بالله، معناه تقرون أن محمداً صلى الله عليه وسلم نبيّ الله، لأن من كفر بمحمد صلى الله عليه وسلم لم يوحد الله، لأنه يزعم أن الآيات المعجزات التي أتى بها من ذات نفسه.

ثم قال تعالى: {وَلَوْ ءامَنَ أَهْلُ الكتاب} وهم اليهود والنصارى {لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ} من الإقامة على دينهم {مّنْهُمُ المؤمنون} وهم مؤمنو أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه، ومن آمن من اليهود والنصارى {وَأَكْثَرُهُمُ الفاسقون} وهم كعب بن الأشرف وأصحابه، والذين لم يؤمنوا منهم {لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى} يعني باللسان بالسب وغيره، وليس لهم قوة القتال {وَإِن يقاتلوكم} يعني إن أعانوكم في القتال، فلا منفعة لكم منهم لأنهم {يُوَلُّوكُمُ الادبار} وينهزمون {ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} يقول لا يُمْنَعون من الهزيمة، فكأنه يحكي ضعفهم عن القتال. يقول: لو كانوا عليكم لا يضرونكم، ولو كانوا معكم لا ينفعونكم، وهذا حالهم إلى يوم القيامة وهم اليهود ليس لهم شوكة، ولا قوة القتال في موضع من المواضع. ويقال: {وَإِن يقاتلوكم يُوَلُّوكُمُ الادبار} يعني إن خرجوا إلى قتالكم، وأرادوا قتالكم يولون الأدبار، أي ينهزمون منكم. ويقال: يُوَلُّوكم الأدْبَار، يعني منهزمين، {ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ} يقول: لا يُمْنَعون منكم، وهو قول الكلبي.

تفسير الآيات رقم [112- 115]

{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآَيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (112) لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آَيَاتِ اللَّهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (113) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (114) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115)}

ثم قال {ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذلة} يقول جُعِلَتْ عليهم الجزية ويقال ألْزِم عليهم القتال {أَيْنَمَا ثُقِفُواْ} أي وُجدوا {إِلاَّ بِحَبْلٍ مّنْ الله} أي بعهد من الله {وَحَبْلٍ مّنَ الناس} يعني تحت قوم يؤدون إليهم الجزية، فإن لم يكن لهم عهد قتلوا {وَبَاءوا بِغَضَبٍ مّنَ الله} يقول: استوجبوا الغضب من الله تعالى. ويقال: رجعوا بغضب من الله {وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ المسكنة} يعني جعل عليهم زي الفقر.

قال الكلبي: فترى الرجل منهم غنياً، وعليه من البؤس والفقر والمسكنة. ويقال: إنهم يظهرون من أنفسهم الفقر، لكيلا تضاعف عليهم الجزية {ذلك} الذي يصيبهم {بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بآيات الله} ومحمد صلى الله عليه وسلم وبالقرآن {وَيَقْتُلُونَ الانبياء بِغَيْرِ حَقّ} يعني رضوا بما فعل آباؤهم، فكأنهم قتلوهم {ذلك} الغضب {بِمَا عَصَواْ} الله {وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ} بأفعالهم كلما ذكر الله عقوبة قوم في كتابه بيّن المعنى الذي يعاقبهم لذلك، لكيلا يظن أحد أنه عذّبهم بغير جُرْم. ثم بيَّن فضيلة من آمن من أهل الكتاب على من لم يؤمن فقال تعالى: {لَيْسُواْ سَوَاء} قال بعضهم: هذا معطوف على الأول منهم المؤمنون، وأكثرهم الفاسقون، ليسوا سواء في الثواب، فيكون هاهنا وقف. وقال بعضهم: هذا ابتداء، ويكون فيه مضمر، فكأنه يقول: ليس من آمن منهم ويتلون آيات الله كمن هو كافر. كقوله تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءانَآءَ اليل ساجدا وَقَآئِماً يَحْذَرُ الاخرة وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الذين يَعْلَمُونَ والذين لاَ يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُو الالباب} [الزمر: 9] معناه: ليس كالذي هو من أهل النار، فكذلك هاهنا قال: ليس من آمن {مّنْ أَهْلِ الكتاب}

كمن لم يـؤمن، فـبين الـذين آمنـوا فقـال: {مّنْ أَهْـلِ الكتـاب أُمَّةٌ قَائِمَةٌ} يعني مُهَذَّبة عاملة بكتاب الله تعالى. ويقال: مستقيمة.

وروى الزجـاج عن الأخفش قـال: ذو أمـة قائمـة، يعـني ذو طريقـة قائمة {يَتْلُونَ ءايات الله} يعني القرآن في الصلاة {أَمَّنْ هُوَ} يعـني في ساعات الليل {وَهُمْ يَسْجُدُونَ} أي يصلون لله. قوله: {يُؤْمِنُـونَ باللهِ واليوم الاخر} يعني يقرون بالله وبمحمد صلى الله عليه وسلم {وَيَـأْمُرُونَ بـالمعروف} أي باتباعـه {وَيَنْهَـوْنَ عَنِ المنكـر} أي عن الشــرك {ويســارعون فِى الخــيرات} أي يبــادرون إلى الطاعــات، والأعمال الصالحة {وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصالحين} أي مـع الصـالحين، وهم أصحابِ محمد صلى الله عليـه وسـلم في الجنـة. {وَمَـا يَفْعَلُـواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَروهُ} يعني لن تجحدوه ولن تنسـوه يقـول تجـزون بـه، وتثابون عليه في الآخرة، وهذا كما روي عن النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسلم أنه قال: «البرُّ لا يَبْلَى وَالإِثْمُ لا يُنْسَى»

ثم قال تعالى: {والله عَلِيمٌ بالمتقين} أي عليم بثوابهم، وهم مؤمنـو أهل الكتاب، ومن كان بمثل حالهم. قـرأ حمـزة والكسـائي وعاصـم في رواية حفص {وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْـرٍ فَلَنْ يُكْفَـروهُ} كلاهمـا باليـاء، والباقون كلاهما بالتاء على معنى المخاطبة.

▲ تفسير الآيات رقم [116- 117]

{إِنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْـوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَـيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَـا خَالِـدُونَ (116) مَثَـلُ مَـا يُنْفِقُـونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الـدُّنْيَا كَمَثَـلِ رِيحٍ فِيهَـا صِـرٌّ أَصَـابَتْ حَـرْثَ قَـوْمٍ ظَلَمُـوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (117)}

ثم قال: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ} قال مقاتل: ذكر قبل هذا مؤمني أهل الكتاب، ثم ذكر كفار أهل الكتاب، وهو قوله: {إِنَّ الذين كَفَرُواْ}...

وأما الكلبي فقال: هذا ابتداء {إِنَّ الذين كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ} كثرة {أموالهم وَلاَ} كثرة {أولادهم مّنَ} عذاب {الله شَيْئاً} وقال الضحاك: يعني اليهود والنصارى، وجميع الكفار، وكل من خالف دين الإسلام، وذلك أنهم تفاخروا بالأموال والأولاد وقالوا: نحن أكثر أموالاً وأولاداً، وما نحن بمعذَّبين، فأخبر الله تعالى أن أموالهم وأولادهم لا تغني عنهم من عذاب الله شيئاً {وَأُوْلَئِكَ أصحاب النار هُمْ فِيهَا خالدون}.

{مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِى هذه الحياة الدنيا} قال الكلبي: يعني ما ينفقون في غير طاعة الله {كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ} أي برد شديد {أَصَابَتْ} الريح الباردة {حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ} بمنع حق الله تعالى منه {فَأَهْلَكَتْهُ} يقول: أحرقته، فلم ينتفعوا منه بشيء، فكذلك نفقة من أنفق في غير طاعة الله، لا تنفعه في الآخرة، كما لا ينفع هذا الزرع في الدنيا. وقال مقاتل: يعني نفقة السفلة على رؤساء اليهود. وقال الضحاك: مثل نفقة الكفار من أموالهم في أعيادهم وعلى أضيافهم وما يعطي بعضهم بعضاً على الضلالة {كَمَثَلِ رِيحٍ} الآية، ثم قال {وَمَا ظَلَمَهُمُ الله ولكن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} يعني أصحاب الزرع هم ظلموا أنفسهم بمنع حق الله تعالى، فكذلك الكفار أبطلوا ثواب أعمالهم بالشرك بالله تعالى.

▲ تفسير الآيات رقم [118- 119]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآَيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ (118) هَا أَنْتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آَمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (119)}

قوله تعالى: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مّن دُونِكُمْ} يعني خلّة وصداقة من غير أهل دينكم، وإنما سميت بطانةً لقربها من

البـدن {مّن دُونِكُمْ}، أي من دون المؤمـنين نـزلت الآيـة في شـأن جماعة من الأنصار، كانت بينهم وبين اليهود مواصلة وخاصية، وكانوا على ذلك بعد الإسلام، فنهاهم الله عزّ وجـلّ عن ذلـك. ويقـال: كـل من كان على خلاف مذهبه ودينه لا ينبغي لـه أن يحادثـه، لأنـه يقـال في المثل:

عن المَرْءِ لاَ تَسْأَلْ وَأَبْصِرْ قرينه *** فَإِنَّ القَرِينَ بالمقارن يَقْتَدِي

وروى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال: «المَـرْءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِـلْ» وروي عن ابن مسـعود أنه قال: اعتبروا الناس بأخْـدَانهم. ثم بيّن اللـه المعـنى الـذي لأجلـه نهى عن المواصلة فقال تعالى: {لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً} أي فساداً، يعــني لا يتركون الجهد في فسادكم، يعني أنهم لا يتركون وإن لم يقاتلوكم في الظاهر فإنهم لا يتركون جهدهم في المكـر والخديعـة {وَدُّواْ مَـا عَنِتُّمْ} مـا أَثِمْتُم بــربكم. وقـال الزّجـاج: الخَبَـالُ في اللغـة ذِهَـابُ الشيء، والعَنَتُ في الأصل المشقة. وقال القتـبي: الخَبَـال الفسـاد. وقال أيضاً: {وَدُّواْ مَـا عَنِتُّمْ}، أي مـا أعنتكم؛ وهـو مـا نـزل بكم من مكروه.

ثم قال: {قَدْ بَدَتِ البغضاء} أي ظهرت العداوة والتكذيب لكم {مِنْ أفـواههم وَمَـا تُخْفِى صُـدُورُهُمْ أَكْبَـرُ} أي والـذي في صـدورهم من العداوة أكثر مما أظهـروا بـأفواههم. ويقـال: {وَمَـا تُخْفِى صُـدُورُهُمْ أَكْبَرُ}، أي قصدهم قتل محمد صـلى اللـه عليـه وسـلم، لأنهم كـانوا يضمرون ذلك {قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الايات} يعني أخبرناكم بما أخفـوا، وبمـا أبدوا بالدلالات والعلامـات {إِنْ كُنتُمْ تَعْقِلُـونَ} وتصـدقون {تَعْقِلُـونَ هَاأَنتُمْ أُوْلاء} يعني ها أنتم يـا هـؤلاء {تُحِبُّونَهُمْ} لمظـاهرتكم إيـاهم {وَلاَ يُحِبُّونَكُمْ} لأنهم ليسوا على دينكم.

وقال الضحاك: معناه كيف تحبون الكفار وهم لا يحبونكم {وَتُؤْمِنُـونَ بالكتـاب كُلّـهِ} يعـني بـالتوراة والإنجيـل وسـائر الكتب، ولا يؤمنـون بذلك كله، وقد فضلكم الله عليهم بذلك، لأنهم لا يؤمنون إلا بكتـابهم

{وَإِذَا لَقُوكُمْ} يعني المنافقين منهم {قَالُواْ ءامَنَّا} بمحمد صلى الله عليه وسلم إنه رسول الله {وَإِذَا خَلَوْاْ} فيما بينهم {عَضُّواْ عَلَيْكُمُ الانامل} يعني أطراف الأصابع {مِنَ الغيظ} والحنق عليكم فيقول بعضهم لبعض: ألا ترون إلى هؤلاء قد ظهروا وكثروا. قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم: {قُلْ} لهم يا محمد {مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ} يقول موتوا بحنقكم على وجه الدعاء، والطرد واللعن، لا على وجه الأمر والإيجاب، لأنه لو كان على وجه الإيجاب، لماتوا من ساعتهم. كما قال في موضع آخر: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الذين خَرَجُواْ مِن ديارهم وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الموت فَقَالَ لَهُمُ الله مُوتُواْ ثُمَّ أحياهم إِنَّ الله لَذُو فَضْلٍ عَلَى الناس ولكن أَكْثَرَ الناس لاَ يَشْكُرُونَ} [البقرة: 243]، فماتوا من ساعتهم، فهاهنا لم يرد به الإيجاب.

وقال الضحاك: {قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ}، يعني أنكم تخرجون من الدنيا بهذه الحسرة، والغيظ يعني اللفظ لفظ الأمر، والمراد به الخبر، يعني أنكم تموتون بغيظكم ثم قال تعالى: {إِنَّ الله عَلِيمٌ بِذَاتِ الصدور} يعني بما في قلوبكم من العداوة للمؤمنين، إن الله يجازيكم بذلك.

▲ تفسير الآية رقم [120]

{إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ (120)}

ثم قال للمؤمنين: {إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ} يعني الظفر والغنيمة، كما أصابكم يوم بدر {تَسُؤْهُمْ} أي يسوؤهم {وَإِن تُصِبْكُمْ سَيّئَةٌ} يعني الهزيمة، كما أصابكم يوم أحد، ويقال: الشدة في العيش والقحط {يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ} على أذى المنافقين واليهود {وَتَتَّقُواْ} المعصية والشرك. وهذا قول الكلبي.

وقال مقاتل {وَأَن تَصْبِرُواْ} على أمر اللـه {وَتَتَّقُـواْ} معاصـيه. {وَلاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} يقول: لا تضركم عداوتهم شيئاً. قـرأ ابن كثـير ونافع وأبو عمرو: لاَ يَضِرْكُمْ بكسر الضاد وجزم الراء، وقـرأ البـاقون بضم الضاد وتشـديد الـراء، ومعناهمـا قـريب في التفسـير، يعـني لا ضير عليكم من كيدهم {إِنَّ الله بِمَـا يَعْمَلُـونَ مُحِيـطٌ} يعـني أحـاط علمه بأعمالهم، والإحاطة هي إدراك الشيء بكماله.

تفسير الآيات رقم [121- 122]

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِـكَ تُبَـوِّئُ الْمُـؤْمِنِينَ مَقَاعِـدَ لِلْقِتَـالِ وَاللَّهُ سَـمِيعٌ عَلِيمٌ (121) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَـانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَـلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَـا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (122)}

{وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ} يعـني خـرجت من منزلـك بالصـباح. ويقـال: من عند أهلك، وهي عائشة رضي الله عنه {تُبَوّئ المؤمـنين} يعـني تهيئ للمؤمنين {مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} يعني مواضع للحرب. قـال الكلـبي: هو يوم أحد. وقال مقاتل: هو يوم الخنـدق {واللـه سَـمِيعٌ} لـدعائك {عَلِيمٌ} بــأمر الكفــار {إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَــانِ مِنكُمْ} يعــني أرادت وأضمرت طائفتان من المسلمين. وهما: حيا بني حارثة، وبني سلمة من الأنصار {أَن تَفْشَلاَ} يعني أن تَجْبُنَا عن القتـال مـع النـبيّ صـلى الله عليه وسلم وترجعا {والله وَلِيُّهُمَا} أي ناصـرهما {وحافظهمـا} حيث لم يرجعا، لأن النبيّ صلى الله عليـه وسـلم خـرج من المدينـة يوم أحد، ومعه ألف رجـل، فرجـع عبـد اللـه بن أبي ابن سـلول مـع ثلاثمائة من المنافقين، ومن تابعهم، فدخل الفشـل في قبيلـتين من الأنصـار، وهم المؤمنـون، فـأرادوا أن يرجعـوا، فحفـظ اللـه تعـالى قلوبهم، فلم يرجعوا، فذلك قوله تعالى: {تَفْشَـلاَ واللـه وَلِيُّهُمَـا} أي حافظ قلوبهما {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} يعني على المؤمنين أن يتوكلوا على الله وهذه كلها مِنَنٌ ذكرها الله لنبيّه صلى الله عليـه وسلم، ليعرف ويشكر الله تعالى، ويصبر على ما يصيبه من الأذى.

تفسير الآيات رقم [123- 125]

{وَلَقَـدْ نَصَـرَكُمُ اللَّهُ بِبَـدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَـاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ (123) إِذْ تَقُـولُ لِلْمُـؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِـدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَـةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَـةِ مُنْـزَلِينَ (124) بَلَى إِنْ تَصْـبِرُوا وَتَتَّقُـوا وَيَـأْتُوكُمْ مِنْ فَـوْرِهِمْ هَـذَا يُمْـدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَـةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَـةِ مُسَـوِّمِينَ (125)}

ثم ذكَّرهم أمـر بَـدْر؛ فقـال تعـالى: {وَلَقَـدْ نَصَـرَكُمُ اللـه بِبَـدْرٍ} أي أعانكم اللـه ببـدر {وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ} يعـني قليلـة، {فـاتقوا اللـه} يعـني: اعرفوا هذه النعمة، واتقـوا اللـه ولا تعصـوه {لَعَلَّكُمْ تَشْـكُرُونَ} أي لكي تشكروا الله. {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ} يعني يوم أحد {أَلَنْ يَكْفِيكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ بِثَلاَثَةِ ءالاَفٍ مّنَ الملئكة مُنزَلِينَ} من السماء. يقول اللــه تعـالى: {بَلَى إِن تَصْـبِرُواْ} مـع نـبيّكم، {وَتَتَّقُـواْ} معصـيته بالهزيمـة {وَيَـأْتُوكُمْ مّن فَـوْرِهِمْ هـذا} يعـني العـدو، يـأتوكم من وجـوههم {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ ءالافٍ مّنَ الملئكة مُسَوّمِينَ} يعـني مُعلمين بالصوف الأبيض في نواصي الخيل، وفي أذنابهـا عليهم البيـاض، قـد أرْخَوْا أطراف العمائم بين أكتافهم؛ فأنزل الله تعالى عليهم يوم بدر ثلاثـة آلاف، ووعـد لهم يـوم أحـد خمسـة آلاف. ولكنهم لمـا عصـوا وتركوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم رجعوا عنهم، ولـو أنهم صبروا لنزلت عليهم.

قـرأ عاصـم، وابن كثـير، وأبـو عمـرو: {مُسَـوّمِينَ} بكسـر الـواو؛ والباقون بالنصب ومعناهم قريب. وهو: إرخـاء أطـراف العمـائم بين الأكتاف؛ وهذا كما روي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم بدر: «تَسَوّمُوا فَإِنَّ المَلاَئِكَةَ قَدْ تَسَوَّمَتْ».

تفسير الآية رقم [126]

{وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (126)}

ثم قال تعالى: {وَمَـا جَعَلَـهُ اللـه إِلاَّ بشـرى لَكُمْ} يعـني: المـدد من الملائكة. قال بعضهم: إن الملائكـة لم تقاتـل، وإنمـا بعثهم للبشـارة وتسكين قلوب المؤمنين، لأن في قتـال الملائكـة لم يكن للمؤمـنين فضيلة، وإنما كـانت الفضـيلة للمؤمـنين إذ كـانوا هم الـذين يقـاتلون ويهزمون الكفار، ولو كان ذلك لأجل الإعانة لكان ملك واحـد يكفيهم كما فعـل بقـوم لـوط. ألا تـرى أنـه قـال تعـالى: {وَإِذْ يُرِيكُمُـوهُمْ إِذِ التقيتم فِى أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً وَيُقَلِّلُكُمْ فى أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ اللـهُ أَمْـراً كَـانَ مَفْعُولاً وَإِلَى الله تُرْجَعُ الأمور} 3 4 5 [الأنفال: 44] فجعل الفضيلة في قلتهم في أعين الكفـار ونصـرتهم بالغلبـة، وهـذا معـنى قولـه تعالى: {وَمَا جَعَلَهُ الله إِلاَّ بشرى لَكُمْ}.

{وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ} يعني تطمئن إليه قلوبكم. وقال بعضـهم: إن الملائكة كانوا يقاتلون، وكانت علامة ضربهم في الكفار ظاهرة، لأن كل موضع أصابت ضربتهم اشتعلت النار في ذلك الموضع، حـتى إن أبا جهل قال لابن مسعود: أنت ما قتلتني، إنما قتلني الذي لم يصـل سناني إلى سنْبك فرسه وإن اجتهدت. وإنما كانت الفائدة في كـثرة الملائكـة لتسـكن قلـوب المؤمـنين، ولأن اللـه تعـالى جعـل أولئـك الملائكـة مجاهـدين إلى يـوم القيامـة، وكـل عسـكر من المسـلمين صبروا واحتسبوا تأتيهم تلك الملائكة ويقاتلون معهم ويقـال: الفائـدة في كثرة الملائكة أنهم كانوا يدعون ويسـبحون، وثـواب ذلـك للـذين يقاتلون يومئذ. وسنذكر قصة بـدر في سـورة الأنفـال إن شـاء اللـه تعالى. ثم قال: {وَمَا النصر إِلاَّ مِنْ عِندِ اللـه العزيـز الحكيم} يعـني. ليس بكثرة العدد ولا بقلته، ولكن النصر من الله تعالى كما قال في آيـة أخـرى: {لَقَـدْ نَصَـرَكُمُ اللـه فِى مَـوَاطِنَ كَثِـيرَةٍ وَيَـوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْـرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَـيْئاً وَضَـاقَتْ عَلَيْكُمُ الأرض بِمَـا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ} [التوبة: 25].

تفسير الآيات رقم [127- 128]

{لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (127) لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ (128)}

ثم قال: {لِيَقْطَعَ طَرَفاً مّنَ الذين كَفَرُواْ} يعني أرسل الملائكة ونصر المؤمنين لكي يقطع طرفاً، أي يستأصل جماعة من الذين كفروا {أَوْ يَكْبِتَهُمْ} قال الكلبي: أي يهزمهم. وقال مقاتل: يعني يخزيهم كقوله {إِنَّ الذين يُحَآدُّونَ الله وَرَسُولَهُ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ الذين مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءايات بينات وللكافرين عَذَابٌ مُّهِينٌ} [المجادلة: 5] ويقال: يقنطهم {فَيَنقَلِبُواْ} إلى مكة {خَائِبِينَ} لم يصيبوا ظفراً ولا خيراً، وقد قتل منهم سبعون وأسر منهم سبعون. ويقال معناه وما جعله الله إلا بُشْرَى لكم، ولتطمئن قلوبكم به، وليقطع طرفاً من الذين كفروا.

ثم قال عزّ وجلّ: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ} روى جويبر عن الضحاك قال: لما كان يوم أحد، كسرت رباعية النبيّ صلى الله عليه وسلم وأدمي ساقه، وقتل سبعون رجلاً من الصحابة، فَهَمَّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يدعو على المشركين، فأنزل الله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ} أي ليس لك من الحكم شيء، أو يتوب عليهم يعني كفار قريش يهديهم إلى الإسلام. وقال الكلبي: فهمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلعن الذين انهزموا من الصحابة يوم أحد، فنزل: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ} يعني الذين انهزموا {أَوْ يُعَذّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظالمون} قال: فلما نزلت هذه الآية، كفّ ولم يلعن المشركين، ولا الذين انهزموا من الصحابة، لعلم الله فيهم أنهم سيتوبون، وأن المشركين سيؤمن كثير منهم. وقد آمن كثير منهم فمنهم: خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل وغيرهم.

قال مقاتل: وكان سبعون رجلاً من أصحاب الصُّفَّة، خرجوا إلى الغزو محتسبين، فقتل السبعون جميعاً، فشق ذلك على النبيّ صلى الله عليه وسلم، فدعا الله عليهم أربعين يوماً في صلاة الغداة،

فنزل قوله تعالى: {لَيْسَ لَكَ مِنَ الامر شَئ} ويقال: معنى قولــه أو يتوب عليهم، أو يعذبهم إن لم يكونوا من أهل التوبة.

تفسير الآية رقم [129]

{وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَــذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (129)}

ثم عظم نفســه فقــال تعــالى: {وَللَّهِ مَــا فِى الســموات وَمَــا فِي الارض} يعني: أن جميع الخلق في ملكه وعبيده {يَغْفِرُ لِمَن يَشَـاء} وقال الضحاك: يغفر لمن يشاء الذنب العظيم، {وَيُعَذّبُ مَن يَشَــاء} على الــذنب الصــغير إذا أصـرَّ على ذلـك {واللــه غَفُــورٌ رَّحِيمٌ} في تأخير العذاب عنهم، حيث لم يعاقبهم قبل توبتهم.

تفسير الآيات رقم [130- 131]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُــوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (130) وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ (131)}

{ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ الربا أضـعافا مضـاعفة} قـال الزَّجـاج: يعني لا تضاعفوا أموالكم بالربا. وقال القتبي: هـو مـا يضـاعف منهـا شيء بعد شيء، ويقال أضعافاً مضاعفة عند الـبيع، ببيعـه بـأكثر من قيمته مضاعفة بعـد العقـد، أن يزيـده في الأجـل ويزيـد في المـال. ويقال: المضاعفة هي نعت الأضعاف كما قال تعالى: {ياأيهـا النـاس كُلُواْ مِمَّا فِى الارض حلالا طَيّباً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خطوات الشــيطان إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ} [البقرة: 168 وغيرها] والطيب هو نعت الحلال.

ثم قــال تعــالى: {واتقــوا اللــه} في الربــا فلا تســتحلوه {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} أي لكي تنجوا من العذاب. ثم خَوّفهم فقال: {واتقوا النـار الـتى أُعِـدَّتْ للكـافرين} يعـني خُلقت وهـيئت للكـافرين. وقـالت المعتزلة: من أتى بالكبيرة ومات عليها فإنه يخلد في النار كالكـافر،

فإنه وعد لأكل الربا النار كما وعد الكفار. وقال أكثر أهل العلم والتفسير: هذا الوعيد لمن استحل الربا؛ ومن استحل الربا فإنه يكفر ويصير إلى النار. ويقال: معناه اتقوا العمل الذي ينزع منكم الإيمان فتستوجبوا النار، لأن من الذنوب ما يستوجب به نزع الإيمان ويخاف عليه، فمن ذلك عقوق الوالدين. وقد جاء في ذلك أثر أن رجلاً كان عاقاً لوالدته يقال له علقمة، فقيل له عند الموت: قل لا إله إلا الله فلم يقدر على ذلك، حتى جاءت أمه فرضيت منه. ومن ذلك قطيعة الرحم، وأكل الربا، والخيانة في الأمانة. وذكر أبو بكر الوراق عن أبي حنيفة أنه قال: أكبر ما في الذنوب الذي ينزع الإيمان من العبد عند الموت. ثم قال أبو بكر: فنظرنا في الذنوب التي تنزع الإيمان من العبد، فلم نجد شيئاً أسرع نزعاً للإيمان من ظلم العباد.

تفسير الآيات رقم [132- 133]

{وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (132) وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133)}

ثم قال تعالى: {وَأَطِيعُواْ الله والرسول} يعني أطيعوا الله في الفرائض، والرسول في السنن. ويقال: {وَأَطِيعُواْ الله} في تحريم الربا، {والرسول} فيما بلغكم من التحريم {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} ولا تُعَذَّبُونَ {وَسَارِعُواْ إلى مَغْفِرَةٍ مّن رَّبّكُمْ} قرأ نافع ومن تابعه من أهل المدينة، وابن عامر ومن تابعه من أهل الشام: سارعوا بغير الواو على معنى الابتداء. وقرأ الباقون بالواو على معنى العطف. قال الكلبي: معناه وسارعوا إلى التوبة من الربا. وقال مقاتل: وسارعوا بالأعمال الصالحة التي هي مغفرة لذنوبكم وإلى الجنة. وقال الضحاك: يعني سارعوا إلى النجاء الأكبر إلى الصف المقدم في الصلاة، وإلى الصف المقدم في القتال. ويقال: وسارعوا حتى لا تفوتكم تكبيرة الافتتاح.

ثم قال تعالى: {وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السموات والارض} قال القتبي: أي سعتها، ولم يرد به العَرْض الذي هو خلاف الطول. والعرب تقول: بلاد عريضة أي واسعة. ويقال: عَرْضُ الجنة كعرض سبع سموات، وكعرض سبع أرضين، لو ألزق بعضها إلى بعض. وإنما ذكر العرض ولم يذكر الطول، لأن طولها لا يعرف ولا يدرك. وقال الكلبي: الجنان أربع: جنة عدن وهي الدرجة العليا، وجنة المأوى، وجنة الفردوس، وجنة النعيم. كل جنة منها كعرض السموات والأرض لو وصل بعضها إلى بعض. ويقال: لم يرد بهذا التقدير، ولكنه أراد بذلك أنها أوسع شيء رأيتموه. وقال السدي: لو كسرت السموات وصرن خردلاً، فبكل خردلة لله جنة عرضها كعرض السموات والأرض.

حدّثنا محمد بن داود، قال: حدّثنا محمد بن يحيى، قال: حدّثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدّثنا يعقوب عن أبي حازم قال أخبرني سهل بن سعد قال إن أدنى أهل الجنة يقال له: تَمَنَّ. فيقول: أعطني كذا أعطني كذا، حتى إذا لم يجد شيئاً يتمنى لُقِّن فيقال له: تَمَنَّ، قل كذا قل كذا، فيقول. فيقال له: هو لك ولك مثله معه. وفي رواية أبي سعيد الخدري لك هذا وعشرة أمثاله معه. ثم قال تعالى: {أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ} يعني الجنة.

تفسير الآية رقم [134]

{الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134)}

ثم نَعَتَ المتقين فقال: {الذين يُنفِقُونَ فِى السَّرَّاء والضراء} الخ الآية. نعت للمتقين. ويقال إن كل نعت من ذلك هو نعت على حدة، فكأنه يقول: أعدت للمتقين الذين ينفقون من السراء... الخ. قوله: {فِى السَّرَّاء والضراء} أي ينفقون أموالهم في حال اليسر وفي حال العسر، وهذا قول الكلبي. وقال مقاتل والضحاك: في حال السعة والشدة. ويقال: في حال الصحة والمرض. ويقال: {فِى السَّرَّاء}، يعني في حال الحياة. وفي الضراء، يعني بعد الموت.

ويقال في سراء المسلمين في عرسهم وولائمهم، والضراء في نوائبهم ومآتمهم. ويقال {فِى السَّرَّاء} يعني النفقة التي تسرّكم، مثل النفقة التي على الأولاد والأقربين {والضراء} النفقة على الأعداء والكاشحين. ويقال {فِى السَّرَّاء} يعني على الأنبياء يضيفهم ويهدي إليهم {والضراء} يعني على أهل الضر يتصدق عليهم.

{والكاظمين الغيظ} يعني المرددين الغيظ في أجوافهم، وأصله في اللغة: كظم البعير إذا رَدَّد جِرَّتَه. ومعناه: الذين إذا أصابهم الغيظ تجاوزوا ولم يعاقبوا. {والعافين عَنِ الناس} قال الكلبي: يعني عن المملوكين. ويقال: والعافين عن الناس بعد قدرتهم عليهم فيعفوا عنهم {والله يُحِبُّ المحسنين} من الأحرار والمملوكين، ويقال: الذين يحسنون بعد العفو ويزيدون عليه إحساناً وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ كَظَمَ غَيْظاً وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ ينفذَهُ ثُمَّ لَمْ يُنفِذْهُ زَوَّجَهُ الله مِنَ الحُورِ العينِ حَيْثُ يَشَاءُ»، وفي خبر آخر: عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال: «مَا عَفَا رَجُلٌ عَنْ مَظْلَمَةٍ قَطُّ إلاّ زَادَهُ الله بِهَا عِزّاً».

تفسير الآيات رقم [135- 137]

{وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ (135) أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ (136) قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (137)}

قوله تعالى: {والذين إِذَا فَعَلُواْ فاحشة} نزلت في شأن رجل تَمَّار، جاءت امرأة تشتري منه تمراً، فأدخلها في حانوته وقبلها ثم ندم على ذلك، فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت هذه الآية في رجل مَسّ امرأة أخيه في الله، وكان أخوه خرج غازياً، ثم ندم وتاب. ويقال: إنها نزلت في شأن بهلول النباش، تاب عن صنيعه فنزلت هذه الآية.

فقال تعالى: {والذين إِذَا فَعَلُواْ فاحشــة} يعـني الـزّنى. {أَوْ ظَلَمُـواْ أَنْفُسَهُمْ} يعني القُبْلَة واللمس. ويقال: الفاحشة كل فعل يســتوجب بـه الحـد في الـدنيا {أَوْ ظَلَمُـواْ أَنْفُسَـهُمْ} مـا دون ذلـك. ويقـال: الفاحشة ما استوجب به النار، {أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ} ما استوجب بــه الحســاب والحبس. وقــال إبــراهيم النخعي: الظلم هاهنـا تفســير الفاحشة فكأنه يقول: {والذين إِذَا فَعَلُواْ فاحشة وَظَلَمُواْ أَنفُسَـهُمْ}. {ذَكَرُواْ الله} أي خافوا الله، ويقـال ذكـروا مقـامهم بين يـدي اللـه. ويقال: ذكروا عذاب اللـه. {فاسـتغفروا لِـذُنُوبِهِمْ} يعـني الاسـتغفار باللسان والندامـة بـالقلب. ويقـال: الاسـتغفار باللسـان بغـير ندامـة القلب توبة الكذابين. وروي عن الحسن البصري أنه قال: اسـتغفارنا يحتاج إلى الاستغفار الكثير.

ثم قال تعالى: {وَمَن يَغْفِرُ الذنوب إِلاَّ الله} يعني لا يغفر الذنوب إلا الله {وَلَمْ يُصِرُّواْ على مَا فَعَلُواْ} يعني: لم يقيموا على ما فعلوا من المعصية {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} أنها معصية فلا يرجعون. ويقـال: في الآيـة تقـديم وتـأخير، فكأنـه يقـول: والـذين إذا فعلـوا فاحشـة أو ظلمـوا أنفســهم، ولم يصــرّوا على مــا فعلــوا وهم يعلمــون، ذكــروا اللــه فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله {أولئـك} يعـني أهـل هذه الصفة {جَزَآؤُهُمْ} يعني ثوابهم {مَّغْفِرَةٌ مّن رَّبّهِمْ وجنات تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الانهار خالدين فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ العـاملين} يعـني: نعم ثـواب العاملين الجنة، وهو قول الكلبي. وقـال مقاتـل: نعم ثـواب التـائبين من الذنوب الجنة {وَقَدْ خَلَتْ مِن * قَبْلِكُمْ سُنَنٌ} أي قد مضت لكل أمة سنة ومنهاج، فـإذا اتبعوهـا رضـي اللـه عنهم. قـال الكلـبي: قـد مضت سنة بالهلاك فيمن كان قبلكم، {فانظروا}: أي فاعتبروا كيف كان جزاء المكذبين. وقال مقاتل نحو هذا، وقـال: يخـوف اللـه هـذه الأمــة بمثــل عــذاب الأمم الســابقة. وقــال الســدي: {فَسِــيرُواْ فِى الارض} أي اقرؤوا القرآن {فـانظروا كَيْـفَ كَـانَ عاقبـة المكـذبين} لأن من لم يسافر فإنـه لا يعـرف ذلـك، وأمـا من قـرأ القـرآن فإنـه يعرف ذلك. وقـال الحسـن: اقـرؤوا القـرآن وتـدبروا فيـه، فـانظروا كيف كان عاقبة المكذبين.

تفسير الآيات رقم [138- 140]

{هَـذَا بَيَـانٌ لِلنَّاسِ وَهُـدًى وَمَوْعِظَـةٌ لِلْمُتَّقِينَ (138) وَلَا تَهِنُـوا وَلَا تَحْزَنُـوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَـوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ (139) إِنْ يَمْسَسْـكُمْ قَـرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (140)}

ثم قال: {هذا بَيَانٌ لّلنَّاسِ} يعني القـرآن، بيـان للنـاس من الضـلالة {وهــدى} من العمى {وَمَوْعِظَــةً} من الجهــل، ويقــال: {هُــدًى وَمَوْعِظَةً} أي كرامة ورحمة {لّلْمُتَّقِينَ} {وَلاَ تَهِنُـواْ} أي لا تضـعفوا ولا تجبنـوا، ويقـال: ولا تَعْجـزوا عن عـدوكم {وَلاَ تَحْزَنُـواْ} على مـا أصـابكم من القتـل والهزيمـة يـوم أحـد {وَأَنتُمُ الاْعْلَـوْنَ} يعـني: الغالبون يقول آخر الأمر لكم. ويقـال: {وَأَنتُمُ الاْعْلَـوْنَ} في الجنـة. ويقــال: هــذا وعــد لأصــحاب محمــد صــلى اللــه عليــه وســلم في المستأنف {وَأَنتُمُ الاْعْلَوْنَ} أي الغالبون على الأعداء بعـد أحـد، فلم يخرجوا بعد ذلك في عسكر إلا ظفـروا في عهـد رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم، وفي كل عسكر كـان بعـد رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم، إذا كان فيه واحد من الصـحابة كـان الظفـر لهم، فهـذه البلدان كلها إنما فتحت في عهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم، ثم بعـد انقراضـهم مـا فتحت بلـدة على الوجـه كمـا كـانوا يفتحون في ذلك الوقت. ويقال: في هذه الآية بيان فضل هذه الأمة، لأنه خاطبهم بما خاطب به أنبيـاءه لأنـه قـال لموسـى عليـه الصـلاة والسـلام: {قُلْنَـا لاَ تَخَـفْ إِنَّكَ أَنتَ الاعلى} [طـه: 68] وقـال لهـذه الأمة: {وَأَنتُمُ الاْعْلَوْنَ} ويقال اشـتُقَّت هـذه اللفظـة من اسـم اللـه تعالى، لأن اسمه العلي الأعلى. وقال للمؤمنين: {وَأَنتُمُ الاْعْلَـوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} يعني: إن كنتم مصدقين بوعد اللـه. ويقـال: معنـاه إذ كنتم مؤمنين. ويقال: في الآية تقديم وتـأخير، فكأنـه قـال: ولا تهنـوا ولا تحزنوا إن كنتم مؤمنين وأنتم الأعلون.

ويقال: إن هذا وعد لهم بـأنهم غـالبون إن ثبتـوا وصـدقوا، فلـو أنهم ثبتوا وصدقوا لغَلَبُوا كما غَلَبوا يـوم بـدر، ولكنهم تركـوا أمـر رسـول

الله صلى الله عليه وسلم فرجع الأمر عليهم. وكانت القصة في ذلك أنهم لما غَلَبُوا المشركين يوم بدر، وأصابوا منهم ما أصابوا وسنذكر قصة بدر في سورة الأنفال إن شاء الله تعالى فرجع أبو سفيان بن حرب إلى مكة بالعير، وانهزم المشركون، وذهب عكرمة بن أبي جهل، ورجال أُصِيب أبناؤهم وآباؤهم وإخوانهم ببدر إلى أبي سفيان بن حرب وهو رئيس مكة فكلموه، وأتاه كل من كان له في ذلك العير مال، فقالوا: إن محمداً قد قتل خيارکم، فاستعينوا بهذه الأموال على حربه ففعلوا. قال الضحاك: فأعانهم أبو سفيان بمائة راحلة وما يصلحها من الزاد والسلاح، فسارت قريش وهم ثلاثة آلاف رجل، وعليهم أبو سفيان بن حرب، وكان في القوم خالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وعكرمة بن أبي جهل، وذلك قبل دخولهم في الإسلام، فلم يبقَ أحد من قريش إلا وخرج أهله معه وولده يجعلهم خلف ظهره ليقاتل عنهم.

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب الناس، وقال في خطبته: «إِنِّي رَأَيْتُ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّ فِي سَيْفِي ثلمَةُ فَأَوَّلْتُهَا مصِيبَةً فِي نَفْسِي، وَرَأَيْتُ بُقُوراً قَدْ ذُبِحَتْ، فَأَوَّلْتُهَا قَتْلَى فِي أَصْحَابِي، وَرَأَيْتُ كَأَنِّي أَدْخَلْتُ يَدِي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، فَأَوَّلْتُهَا المَدِينَةَ فَأَشِيرُوا عَلَيَّ» وكره الخروج إليهم، فكان رأي عبد الله بن أبي ابن سلول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يخرج إليهم، ولكنه كان منافقاً فقال: يا رسول الله لا تخرج إليهم فأنا ما خرجنا إلى عدوّ قط إلا أصاب منا، ولا دخل علينا إلا أصبنا منه. فقال رجال من المسلمين ممن أكرمهم الله بالشهادة وغيرهم ممن فاتته بدر: اخرج لهم يا رسول الله، لكي لا يرى أعداء الله أنا قد جَبُنَّا عنهم وضعفنا عن قتالهم. فلم يزالوا به حتى دخل ولبس لأمته، ثم خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم إليهم وقد خرج الناس فقالوا: استكرهنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقالوا: يا رسول الله: قد استكرهناك وما كان لنا ذلك، فإن شئت فاخرج، وإن شئت فاقعد. فقال النبيّ صلى الله عليه وسلم: «مَا يَنْبَغِي لِلنَّبِيِّ أَنْ يَضَعَ سِلاَحَهُ إِذَا لَبِسَهُ حَتَّى يُقَاتِلَ» فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسار إلى أُحدٍ، فانخذل عبد الله بن أبي ابن سلول. قال في رواية

الكلبي: فرجع معه ثلاثمائة من الناس، وبقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو سبعمائة رجل. وقال في رواية الضحاك: فانخذل في ستمائة رجل من اليهود، وبقي مع النبيّ صلى الله عليه وسلم ألف رجل من المؤمنين الطيبين. ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالشِّعب من أحد، وأمر عبد الله بن جبير على الرُّمَاة وقال لهم: «لاَ تَبْرَحُوا مِنْ هَذَا المَوْضِعِ، وَاثْبُتُوا هاهنا إِنْ كَانَ الأَمْرُ عَلَيْنَا أَوْ لَنَا» وقال في رواية الكلبي: كان الرماةُ خمسين رجلاً. وقال في رواية الضحاك: كانوا سبعين رجلاً. فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره إلى أُحد، ودنا المشركون وأخذوا في الحرب، فقامت هند امرأة أبي سفيان وصواحبتها حين حميت الحرب، يضربن بالدُّفوف خلف قريش ويقلن:

نَحْنُ بَنَاتُ طَارِق *** نَمْشِي على النَّمَارق

إِن تُقْبِلُوا نُعَانِق *** أَو تُدْبِرُوا نفارق

فِرَاقَ غَيْرَ وَامِق *** فقاتل أبو دجانة في نفر من المسلمين قتالاً شديداً، وقاتل علي بن أبي طالب حتى انكسر سيفه، وقاتل سعد بن أبي وقاص، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لسعد: «ارْمِ فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي» فقتلوا جماعة من المشركين، وَصَدَقَهم الله وعده وأنزل نصره، حتى كانت هزيمة القوم لا شكّ.

فكشفوهم عن عسكرهم قال الزبير: رأيت هنداً وصواحبتها هوارب، فلما نظر الرماة إلى القوم وانهزموا، أقبلوا على النهب فقال لهم عبد الله بن جُبَيْر: لا تَبْرحوا عن هذا الموضع، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عَهِدَ إليكم. فلم يلتفتوا إلى قوله، وظنوا أن المشركين قد انهزموا؛ فبقي عبد الله بن جبير مع ثمانية نفر، فخرج خالد بن الوليد مع خمسين ومائتي فارس من قِبَل الشِّعب، فقتلوا من بقي من الرماة، ودخلوا خلف أقفية المسلمين، وتفرق المسلمون ورجع المشركون، وحملوا حملةً واحدة، فصار

المسـلمون ثلاثـة أنـواع: بعضـهم جـريح، وبعضـهم قتيـل، وبعضـهم منهزم.

وكان مصعب بن عمير يَذُبُّ عن رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم حتى قُتِلَ دونه، ثم قاد زياد بن السكن فقاتل بين يـدي رسـول اللـه صلى الله عليه وسـلم حـتى قُتِـلَ، وخلص الحـرب إلى رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، وقذف بالحجارة حتى وقع بشـفتيه، وأصـيبت رباعيَتُه، وكُلِمَتْ شفته، وأدمي ساقه. فقـال سـفيان بن عيينـة: لقـد أصيب مع رسول الله صلى الله عليـه وسـلم نحـو ثلاثين رجلاً، كلهم جثـوا بين يديـه. أو قـال: كلهم يتقـدم بين يديـه. ثم يقـول: وجهي لوجهك الوفاء، ونفسي لنفسك الفداء، وعليك سلام الله غير مـودع. فرجع الذي قتل مصعب بن عمير، فظن أنه قتل رسـول اللـه صـلى الله عليه وسلم. فقال للمشركين: قتلت محمداً. فصـرخ صـارخ: ألا إن محمـداً قـد قُتـل. ويقـال: كـان ذلـك إبليس لعنـه اللـه، فـولى المسلمون هاربين متحيّـرين، وجـاء إبليس لعنـه اللـه ونـادى بـأعلى صوته في المدينة: ألا إن محمداً قد قتل وأَخَذَت النسـوة في البكـاء في البيوت، فأقبـل أَنَس بن النضـر عم أنس بن مالـك إلى عمـر بن الخطاب، وطلحة بن عبيد الله في رِجَـالٍ من المهـاجرين والأنصـار، فقال: ما يُجْلسكم؟ قالوا: قتل محمـد. فقـال: مـا تصـنعون بالحيـاة بعده؟ موتوا كراماً على ما مـات عليـه نـبيُّكم. ثم أقبـل نحـو العـدو، فقاتل حتى قتل.

قال كعب بن مالك: فأوّل من كنت عـرفت رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم من المسلمين، عرفت عينيه من تحت المغفـر تزهـران، فناديت بأعلى صوتي: يا معشر المسلمين أبشروا، هذا رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم. فأشار إليَّ أن اسكت. وقـال أنس بن مالـك: قد شجّ وجه رسول الله صلى الله عليه وسـلم، فجعـل الـدم يسـيل على وجهه وهو يمسح الدم ويقـول: «كَيْـفَ يُفْلِحُ قَـوْمٌ خَضَّـبُوا وَجْـهَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسـلم بِالـدَّمِ» وهـو يـدعوهم إلى ربهم. ويقال: إن أصحابه لما اجتمعوا قالوا: يا رسول الله، لو دعـوت اللـه على هؤلاء الذين صنعوا بك؟ فقـال النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم:

«لَمْ أُبْعَثْ طَعَّاناً وَلاَ لَعَّاناً، وَلَكِن بُعِثْتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ»

فجاءه أُبَيّ بن خلف الجمحي، فقال: يا محمد لا نَجوتُ إن نجوتَ مني. فهمَّ المسلمون بقتله، فقال لهم. «دَعُوهُ» حتى دنا منه، فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم الحربة من الحارث بن الصمة ورماه بها، فخدشه في عنقه خدشاً غير كبير، وقد كان ذلك لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وقال: عندي فرس أعلفه كل يوم فرق ذرة، أقتلك عليه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: " بَلْ أَنَا أَقْتُلُكَ إِنْ شَاءَ الله " فلما خدشه رسول الله صلى الله عليه وسلم في عنقه رجع إلى قريش وهو يقول: قتلني محمد. فقالوا له: ما بك من طعن. فقال: بلى، لقد قال لي أنا أقتلك، والله لو بصق علي بعد تلك المقالة لقتلني. فمات قبل أن يصل إلى مكة في طريقها.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً عند أحد، وقد اجتمع عليه بعض أصحابه، فعلت عليه فرقة من قريش في الجبل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لاَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَعْلُونَا " فأقبل عمر ورهط من المهاجرين، فقاتلوهم حتى أهبطوهم من الجبل. وقد كان جبير بن مطعم قال لمملوك له يقال له وحشي: إن أنت قتلت محمداً جعلت لك أعنة الخيل، وإن أنت قتلت علي بن أبي طالب جعلت لك مائة ناقة كلها سود الحدقة، وإن أنت قتلت حمزة فأنت حرٌّ. فقال وَحْشي: أما محمد فعليه حافظ من الله تعالى لا يخلص إليه أحد، وأما عَلَيٌّ فما برز إليه رجل إلا قتله؛ وأما حمزة فرجل شجاع، فعسى أن أصَادفه في غِرَّته فاقتله مكانه. وكانت هند كلما مرّ بها وَحْشي أو مرّت به هند قالت له: إيهاً أبا دسمة اشف واستشف. فكمن وحشي خلف صخرة، وكان حمزة حمل على قوم من المشركين، فلما رجع من حملته مرّ بوحشي وهو خلف الصخرة، فزرقه بمزراق فأصابه فسقط، فذهبت هند ابنة عتبة والنسوة اللاتي معها يمثلن بالقتلى، يجدعن الآذان والأنوف، وشَقَّت هند بطن حمزة وأخذت كبده ومضغته، ثم صعدت هند على صخرة

وهي تنادي بأعلى صوتها: نَحْنُ جَزَيْنَاكمٍ بيوم بَدْر. وأقبل أبو سـفيان وهو يصرخ بأعلى صوته: اعِلُ هبل يوماً بيوم بدر. فقال النـبيّ صـلى الله عليه وسـلم لعمـر: " أَجِبْـهُ يَـا عُمَـرَ " فأجابـه عمـر: اللـه أعلى وأجل لا سواه، قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار.

ثم ركب النـبيّ صـلى اللـه عليـه وسـلم بغلتـه، وظـاهر بين درعيـه، وأخرج يده من جيب الدرع، وسـلّ سـيفه ذا الفقـار، وباشـر القتـال بنفسـه، وحمـل على المشـركين والتـأم إليـه المسـلمون فأعـانوه، وهزم اللـه جمـع المشـركين، وقُتـل يومئـذ من المسـلمين سـبعون رجلاً: أربعة نفر من المهاجرين، وستة وستون من الأنصار.

وقتل يومئذ من المشركين تسعة عشر رجلاً أو أكثر، وكثرت القروح في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعزَّاهم اللـه تعـالى: في ذلك بقوله تعالى: {إِن يَمْسَسْكُمْ قَـرْحٌ} قـرأ عاصـم في روايـة أبي بكر والكسائي وحمزة: قُرْحٌ بضم القاف والباقون بالنصب. قال الفراء: القَرْح والقُرْح واحد. ويقال: القَرْح بالنصـب مصـدر، والقُـرح بالضم اسم. ويقال: القَرْحُ بالنصب الجراحة، وبالضـم ألم الجراحـة. يعني إن أصابكم الجراحات يوم أحد {فَقَدْ مَسَّ القـوم قَـرْحٌ مّثْلُـهُ} يقول: قد أصاب المشركين جراحات مثلها يـوم بـدر. {وَتِلْـكَ الايـام نُدَاوِلُهَا بَيْنَ الناس} يقول: يوم لكم ويوم عليكم، وهذا كما يقال في الأمثال: الأيام دُوَل والحرب سِجَال.

ثم بَيّن المعـنى الـذي تـداول مـرة لهم ومـرة عليهم، فقـال تعـالى: {وَلِيَعْلَمَ الله الذين ءامَنُـواْ} يعـني يتـبين المـؤمن من المنـافق أنهم يشكون في دينهم أم لا، لأن المؤمن المخلص يتبين حالُه عند الشدة والبلايا. وهذا كما روي عن لقمان الحكيم أنه قـال لابنـه: إن الـذهب والفضة يختبران بالنـار، والمـؤمن يختـبر بالبلايـا، والاختبـار من اللـه تعالى إظهار ما علم منه من قبل فـذلك قولـه تعـالى: {وَلِيَعْلَمَ اللـه الذين ءامَنُواْ} يعـني ليـبين لهم اللـه الـذي يعلم إيمانـه، لأنـه يعطى الثواب بما يظهر منه لا بما يعلم منه، وكـذلك العقوبـة. ألاَ تـرى أنـه عَلِم من إبليس المعصـية في المسـتقبل ثم لم يلعنـه مـا لم يظهـر

منه. ثم قال تعالى: {وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاء} يعني لكي يتخذ منكم شهداء، وإنما كان لأجل ذلك لا لأجل حب الكفار {والله لاَ يُحِبُّ الظالمين} أي الجاحدين.

تفسير الآية رقم [141]

{وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آَمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ (141)}

{وَلِيُمَحّصَ الله الذين ءامَنُواْ} أي: لكي يُظْهِر المؤمنين ويكفر ذنوبهم. والتمحيص في اللغة الاختبار والتطهير. والله بَيّن أنه يُداول الأيام بين الناس لكي يَظْهر المؤمن من المنافق، ويكرم بعض المؤمنين بالشهادة لينالوا ثواب الشهداء، وقد ذكر ثوابهم بعد هذا في هذه الصورة وليكفر ذنوبهم {وَيَمْحَقَ الكافرين} أي يهلكهم ويستأصلهم لأنهم يجترئون فيخرجون مرة أخرى فيستأصلهم.

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة} قال مقاتل: بيّن للمؤمنين أنه نازل بهم الشدة والبلاء في ذات الله لكي يصبروا ويحتسبوا. فقال: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الجنة} يقول: أظننتم أن تدخلوا الجنة بغير شيء قبل أن يصيبكم من الشدة في ذات الله، فذلك قوله تعالى: {وَلَمَّا يَعْلَمِ الله الذين جاهدوا مِنكُمْ} قال مقاتل: أي ولما يرى الله الذين جاهدوا منكم. ويقال: ولما يظهر جهاد الذين جاهدوا منكم {وَيَعْلَمَ الصابرين} الذين يصبرون عند البلاء. ويقال: ويعلم الكارّين أي غير الفارين عن القتال.

تفسير الآيات رقم [142- 143]

{أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (142) وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ (143)}

{وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الموت مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ} وذلك أنه لما وصف الله لهم ما نزل بشهداء بدر من الكرامة، فقالوا: ليتنا نجد قتالاً فنقتل فيه لكي نصيب مثل ما أصابوا، فلما لقوا القتال يوم أُحد هربوا، فعاقبهم الله تعالى بقوله: {وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ الموت} أي القتال والشهادة من قبل أن تلقوه، لأن القتال سبب الموت {فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ} يوم أحد {وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ} إلى السيوف فيها الموت. وقال الزجاج: معناه ولقد كنتم تمنون القتال لأن القتال سبب الموت، فقد رأيتموه، يعني وأنتم بصراء كقولك: رأيت كذا وكذا ولم يكن في عينيك علّة. ويقال: وأنتم تنظرون إلى محمد صلى الله عليه وسلم. وقال القتبي: فقد رأيتموه، يعني أسبابه وهو السيف.

تفسير الآية رقم [144]

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ (144)}

ثم قال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرسل} لأنهم هربوا حيث سمعوا بقتله، فقال تعالى: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ} كسائر الرسل {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن} أي رجعتم إلى دينكم الشرك. {وَمَن يَنقَلِبْ على عَقِبَيْهِ} أي يرجع إلى الشرك بعد الإسلام {فَلَن يَضُرَّ الله شَيْئاً} يقول: لن ينتقص من ملكه وسلطانه شيئاً، وإنما يضرّ نفسه {وَسَيَجْزِى الله الشاكرين} يعني الموحدين الله تعالى في الآخرة الجنة. ويقال: وسيجزي الله المؤمنين المجاهدين الجنة.

تفسير الآيات رقم [145- 147]

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآَخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ (145) وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ

فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (146) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (147)}

{وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ} قبل أجلها {إِلاَّ بِإِذْنِ الله كتابا مُّؤَجَّلاً} يقول: في موتها كتاباً مؤجلاً في اللوح، فلا يسبق أجله. وقال الزجاج: قوله كتاباً مؤجلاً، أي كتب كتاباً ذا أجل، وهو الوقت المعلوم، وذكر الكتاب على معنى التأكيد كقوله: {والمحصنات مِنَ النسآء إِلاَّ مَا مَلَكْتَ أيمانكم كتاب الله عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَّا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَن تَبْتَغُواْ بِأموالكم مُّحْصِنِينَ غَيْرَ مسافحين فَمَا استمتعتم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِن بَعْدِ الفريضة إِنَّ الله كَانَ عَلِيماً حَكِيماً} [النساء: 24] أي أن المحرمات مفروضة عليكم على معنى التأكيد. وفي هذه الآية إبطال قول المعتزلة، لأنهم يقولون: إن من قتل فإنما يهلك قبل أجله، وكل ما ذبح من الحيوان كان هالكاً قبل أجله، لأنه يجب على القاتل الضمان والدية. وقد بيّن الله تعالى في هذه الآية أنه لا تهلك نفس قبل أجلها.

{وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدنيا نُؤْتِهِ مِنْهَا} قال الكلبي: يعني يرد ثواب الدنيا بالعمل الذي افترض الله عليه {نُؤْتِهِ مِنْهَا} يعني أعطاه الله ما يحب، وما له في الآخرة من نصيب {وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الاخرة نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِى الشاكرين} في الآخرة. ومن الناس من قال: إن الرياء يدخل في النوافل، ولا يدخل في الفرائض، لأن الفرائض واجبة على جميع الناس. وقال بعضهم: يدخل في الفرائض ولا يدخل في النوافل، لأنه لو لم يأتِ بها لا يؤاخذ بها، فإذا أتى بهذا القدر ليس عليه غير ذلك. وقال بعضهم: كلاهما سواء، فالرياء يدخل في الفرائض والنوافل جميعاً. وهذا القول أصح لقوله تعالى: {إِنَّ المنافقين يخادعون الله وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قاموا إِلَى الصلاة قَامُواْ كسالى يُرَآءُونَ الناس وَلاَ يَذْكُرُونَ الله إِلاَّ قَلِيلاً} [النساء: 142].

ثم إن الله تعالى أخبرهم بما لَقِيَتِ الأنبياءُ والمؤمنون قبلهم فعزَّاهم ليصبروا فقال تعالى سبحانه: {وَكَأَيّن مّن نَّبِىّ} قرأ ابن كثير {وَكَأَيّن} بعد الألف والهمزة، وقرأ الباقون بغير مد، ومعناهما واحد. وقرأ نافع، وابن كثير، وأبو عمرو: وكأيِّن من نبي قُتِل، بضم القاف وكسر التاء. وقرأ الباقون: {قَاتَلَ}، فمن قرأ قاتل فمعناه كم من نبيّ قاتل معه جموع كثيرة. ومن قرأ قتل معناه: وكم من نبي قتل {مَعَهُ} جماعة كثيرة. وقوله: {رِبّيُّونَ} قال الكلبي: الربية الواحدة من عشرة آلاف. وقال الزجاج: هاهنا قراءتان رُبِّيُّون بضم الراء، ورِبِّيّون بكسرها، فأما بالضم فهي الجماعة الكثيرة عشرة آلاف، وأما الرِّبّيُّون بالكسر العلماء الأتقياء الصبراء على ما يصيبهم في الله تعالى. ويقال: وكأين من نبي قتل يعني: كم من نبيّ قتل وكان معه ربيون كثير.

{فَمَا وَهَنُواْ} بعد قَتْلِهِ عن القتال، وما عجزوا بما نزل بهم من قتل أنبيائهم وأنفسهم {لِمَا أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ الله وَمَا ضَعُفُواْ} لَعدُوِّهم، ويقال: وما جبنوا.

ثم قال {وَمَا استكانوا} يقول: وما خضعوا لعدوهم ولكنهم صبروا {والله يُحِبُّ الصابرين} فكأنه يقول للمؤمنين: فهلا قاتلتم مع نبيكم صلى الله عليه وسلم وبعد قتله وإن قتل، كما قاتلت القرون الماضية من قبلكم إذا أصيبت أنبياؤهم. ثم أخبر عن قول الذين قاتلوا مع النبيين فقال تعالى: {وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ} عند قتل أنبيائهم {إِلاَّ أَن قَالُواْ ربَّنَا اغفر لَنَا ذُنُوبَنَا} أي هي دون الكبائر {وَإِسْرَافَنَا فِى أَمْرِنَا} أي العظائم من الذنوب {وَثَبّتْ أَقْدَامَنَا} عند القتال {وانصرنا عَلَى القوم الكافرين} معناه: هلاّ قلتم كما قالوا وقاتلتم كما قاتلوا. وقرأ بعضهم قولهم بالضم، والمعنى في ذلك أنه جعل القول اسم كان، فيكون معناه وما كان قولهم إلا قولهم ربنا اغفر لنا ذنوبنا. ومن قرأ بالنصب جعل القول خبر كان، وجعل الاسم ما بعده.

تفسير الآية رقم [148]

{فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (148)}

قوله تعالى: {فاتاهم الله ثَوَابَ الدنيا} أي أعطاهم الله ثواب الدنيا بالغنيمة والنصرة {وَحُسْنَ ثَوَابِ الاخرة} أي الجنة {والله يُحِبُّ المحسنين} المؤمنين المجاهدين.

تفسير الآيات رقم [149- 150]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ (149) بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ (150)}

{المحسنين ياأيها الذين ءامَنُواْ إِن تُطِيعُواْ الذين كَفَرُواْ} يعني المنافقين {يَرُدُّوكُمْ على أعقابكم} كفاراً بعد إيمانكم {فَتَنقَلِبُواْ خاسرين} إلى دينكم الأول {بَلِ الله مولاكم} أي أطيعوا الله فيما يأمركم، هو مولاكم يعني: وليكم وناصركم {وَهُوَ خَيْرُ الناصرين} أي المانعين من كفار مكة.

تفسير الآية رقم [151]

{سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ (151)}

{سَنُلْقِى فِى قُلُوبِ الذين كَفَرُواْ الرعب} قرأ أبو عمرو، وابن كثير، ونافع، وعاصم، وحمزة: الرعب بتسكين العين. وقرأ ابن عامر، والكسائي: الرعب بالضم. وأصله الضم، إلا أنه إذا اجتمع ضمتان حذفت إحداهما عند من قرأ بالجزم. ومعنى الآية سنلقي الهيبة في قلوب المشركين، وذلك بعد هزيمة المؤمنين، قذف الله تعالى في قلوب الذين كفروا الرعب فانهزموا إلى مكة. ويقال: حين صعد خالد بن الوليد الجبل، قصد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدعا

رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع خالد منهزماً. ويقال: عني به يوم الأحزاب، ألقي في قلوبهم الرعب فانهزموا {بِمَا أَشْرَكُوا بالله} يعني بأنهم أشركوا بالله {مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سلطانا} يعني كتاباً فيه عذر وحجة لهم بالشرك {وَمَأْوَاهُمُ النار} أي: مصيرهم إلى النار في الآخرة {وَبِئْسَ مثوى الظالمين} يعني أن مثوى المشركين النار.

تفسير الآيات رقم [152- 154]

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ (152) إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِي أُخْرَاكُمْ فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (153) ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (154)}

{وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللهِ وَعْدَهُ} وذلك أنهم لما أخذوا في الحرب انهزم المشركون، فلما أَخَذَ بعض المسلمين في النهب والغارة رجع الأمر عليهم وانهزم المسلمون، فذلك قوله: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ الله وَعْدَهُ}. {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} يقول: تقتلونهم بأمره. وقال القتبي: تحسونهم يعني تستأصلونهم بالقتل، يقال: جراد محسوس إذا قتله البرد. {حتى إِذَا فَشِلْتُمْ وتنازعتم فِي الامر} يعني: جَبُنْتُمْ من عدوكم، واختلفتم في الأمر {وَعَصَيْتُمْ} أمر الرسول صلى الله عليه وسلم

{مّن بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ} يعني أراكم الله {مَّا تُحِبُّونَ} يعـني من النصـر على عدوكم، وهزيمة الكفار والغنيمة.

ثم قال: {مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا} أي يطلب الغنيمة {وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الاخرة} وهم الذين ثبتوا عند المشركين حتى قتلـوا. وروي عن عبـد الله بن مسعود أنه قال: كنا لا نعرف أن أحداً منـا يريـد الـدنيا حـتى نزلت هذه الآية، فَعَلِمْنا أن فينا من يريد الـدنيا {ثُمَّ صَـرَفَكُمْ عَنْهُمْ} بالهزيمة من بعـد أن أظْفَـركم عليهم {لِيَبْتَلِيَكُمْ} بمعصـية الرسـول بالقتل والهزيمة {وَلَقَدْ عَفَا} الله {عَنْكُمْ} ولم يعـاقبكم عنـد ذلـك، فلم تقتلـوا جميعـاً {واللــه ذُو فَضْـلٍ} في عفــوه وإنعامــه {عَلَى المؤمنين} بالعفو والإنعام {إِذْ تُصْعِدُونَ} يعني: إلى الجبـل هـاربين، حيث صعدوا الجبل منهزمين من العدو، وكان رسول الله صلى اللــه عليه وسلم يدعوهم: «يَـا معْشـرَ المُسْـلِمينَ أَنَـا رَسُـولُ اللـه» فلم يلتفت إليـه أحـد، حـتى أتـوا على الجبـل. فـذلك قولـه تعـالى: {إِذْ تُصْـعِدُونَ} يعـني الجبـل. وهـذا قـول الكلـبي وقـال الضـحاك: إذ تصـعدون في الـوادي منهـزمين. وقـال القتـبي: يعـني تبعـدون في الهزيمـــة، يقـــال: أصـــعد في الأرض إذا أمعن في الهزيمـــة. وقـــرأ الحسن: تَصْـعَدُون بنصـب التـاء، أي تَصْـعَدُون الجبـل. وقـرأ العامـة بالضم {وَلاَ تَلْوُونَ على أحَـدٍ} يقـول: ولا تقيمـون على رسـول اللـه صلى الله عليه وسلم، ويقال: لا يقيم بعضكم على بعض {والرسول يَدْعُوكُمْ فِى أُخْرَاكُمْ} يقول: مِنْ خَلْفِكم {فأثابكم غَمّـاً بِغَمّ} يقـول: جعل ثوابكم غماً على أثر الغم، ويقـال: جـزاكم غمـاً على أثـر الغم، ويقال غماً متصلاً بالغم. فأمـا الغم الأول: فإشـراف خالـد بن الوليـد بخيل المشركين وهم في ذلـك الجبـل قالـه الكلـبي. وقـال مقاتـل: الغم الأول ما فـاتهم من الفتح والغنيمـة، فـاجتمعوا وكـانوا يـذكرون فيما بينهم ما أصابهم في ذلك اليوم. والغم الثاني: إذ صعد خالــد بن الوليد، فلما عاينوه أذْعَرهُم ذلك أي خوفهم، فأنساهم ما كـانوا فيـه من الحزن، فذلك قولـه تعـالى: {لّكَيْلاَ تَحْزَنُـواْ على مَـا فَـاتَكُمْ} من الفتح والغنيمة {وَلاَ مَا أصابكم} من القتل والهزيمة.

ويقال: الغم الأول الجُرح والقتل، والغم الثاني أنهم سمعوا بأن النبيّ صلى الله عليه وسلم قد قتل فأنساهم الغم الأول. قال: {والله خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} يعني لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، فيجازيكم بها.

{ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِّن بَعْدِ الغم أَمَنَةً نُّعَاساً} الأمنة في اللغة الأمن. قال الكلبي: إذا أَمِنَ القوم نعسوا. وقال الضحاك: النعاس عند القتال أَمَنَةٌ من الله تعالى. ويقال: الذي يصيبه الغم والهزيمة لا يكون له شيء أحسن من النعاس، فيذهب عنه همه، فأصاب القومَ النعاسُ فذهب عنهم الغم وأمنوا. قوله تعالى: {يغشى طَائِفَةً مّنْكُمْ} يعني النعاسَ يغشى ويعلو طائفة منكم، من كان من أهل الصدق واليقين. قرأ حمزة والكسائي: تغشى بالتاء. وقرأ الباقون بالياء. فمن قرأ بالتاء انصرف إلى قوله أمنة، ومن قرأ بالياء يكون نعتاً للنعاس.

ثم قال: {وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ} يعني أهل النفاق. وقال الكلبي: هو معتب بن قُشَيْر وأصحابه {يَظُنُّونَ بالله غَيْرَ الحق} يعني: أنهم يظنون أن لن ينصر الله محمداً وأصحابه {ظَنَّ الجاهلية} قال الكلبي: يعني كظنهم في الجاهلية. وقال مقاتل: ظن الجاهلية كظن الجهال المشركين، مثل أبي سفيان وأصحابه {يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الامر مِن شَئ} يعني: النصرة والفتح {قُلْ إِنَّ الامر كُلَّهُ للَّهِ} يعني النصرة والغنيمة كله من الله {يُخْفُونَ فِى أَنْفُسِهِم} أي يُسِرُّونَ في أنفسهم {مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ} أي يقولون ما لا يظهرون لك {يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الامر شَئ مَّا قُتِلْنَا} أي يقولون لو كان ديننا حقاً ما قتلنا {ها هنا} قال الكلبي: وفي الآية تقديم وتأخير، ومعناه يقولون: هل لنا من الأمر من شيء، يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك، يقولون: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا {مِن شَئ قُلْ إِنَّ الامر كُلَّهُ للَّهِ} وقال الضحاك: {قُلْ إِنَّ الامر كُلَّهُ} يعني القدر خيره وشره من الله. قرأ أبو عمرو: قل إِنَّ الأَمْرَ كُلّه لله بضم اللام، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالرفع جعله اسماً مستأنفاً، ومن نصب جعله نعتاً للأمر.

ثم قال تعالى: {قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ} يقول: لظهر. ويقـال: لخـرج {الـذين كُتِبَ عَلَيْهِمُ القتـل} أي قُضِـيَ عَلَيهم القتـل {إلى مَضَاجِعِهِمْ} أي إلى مواضع مصارعهم. معناه: أنهم وإن لم يخرجـوا إلى العدو وقد قضى الله عليهم بالقتل، لخرجـوا إلى مواضـع قتلهم لا محالة، حتى ينفذ فيهم القضاء. قال تعـالى: {وَلِيَبْتَلِىَ اللـه مَـا فِى صُدُورِكُمْ} يعني ليختبر ويظهر مـا في قلـوبكم {وَلِيُمَحّصَ} يعـني: ليظهـر ويكفـر {مَـا فِى قُلُـوبِكُمْ} من الـذنوب {واللـه عَلِيمٌ بِـذَاتِ الصدور} يعني: بما في القلوب من الخير والشر.

صفحه 10 نداءِ ايمان

تفسير الآيات رقم [155- 159]

{إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَـا اسْـتَزَلَّهُمُ الشَّـيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَـدْ عَفَـا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُـورٌ حَلِيمٌ (155) يَـا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَـرُوا وَقَـالُوا لِإِخْـوَانِهِمْ إِذَا ضَـرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْـدَنَا مَـا مَـاتُوا وَمَـا قُتِلُـوا لِيَجْعَـلَ اللَّهُ ذَلِـكَ حَسْـرَةً فِي قُلُـوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَـا تَعْمَلُـونَ بَصِـيرٌ (156) وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَـبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِـرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَــةٌ خَيْــرٌ مِمَّا يَجْمَعُــونَ (157) وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ (158) فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَـوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيـظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْـتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَـاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (159)}

ثم نـزل في المنهـزمين قولـه تعـالى: {إِنَّ الـذين تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ} أي الذين انهزموا منكم {يَوْمَ التقى الجمعـان} يعـني جمـع المسـلمين، وجمع المشركين {إِنَّمَا استزلهم الشيطان} قـال القتـبي: اسـتزلهم أي طلب زلتهم، كمـا يقـال: اسـتعجلت فلانـاً أي طلبت عجلتـه؛ واستعملته أي طلبت عملـه. ويقـال: زَيَّنَ لهم الشـيطان {بِبَعْضِ مَـا كَسَبُواْ} يعني: الذي أصابهم كان بأعمالهم كما قـال في آيـة أخـرى {وَمَـآ أصـابكم مّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَـا كَسَـبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُـواْ عَن كَثِـيرٍ}

[الشـورى: 30]. {وَلَقَـدْ عَفَـا اللـه عَنْهُمْ} حيث لم يستأصـلهم {أَنَّ الله غَفُورٌ} لذنوبهم {حَلِيمٌ} إذ لم يعجل عليهم بالعقوبة.

قال: حدّثنا الخليل بن أحمد، قال: حدّثنا السراج، قال: حـدّثنا قتيبـة، قال: حدّثنا أبو بكر عن غيلان بن جرير، أن عثمان كان بينه وبين عبد الرحمن بن عوف كلام، فقال له عبد الرحمن: أتسبُّني وقـد شـهدت بدراً ولم تشهدها؟ وبايعتُ تحت الشجرة ولم تُبَايع؟ وقد كنت توليت فيمن تولى يوم الجمع أي يوم أحد فردّ عليه عثمان وقال: أما قولك إنك شهدت بدراً ولم أشهدها، فإني لم أغب عن شيء شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أن ابنة رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسلم كانت مريضة فكنت معهـا أمرِّضـها، وضـرب لي رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم بسـهم في سـهام المسـلمين. وأمـا بيعـة الشـجرة، فبعثـني رسـول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم رداً على المشركين بمكة؛ فضرب رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم يمينـه على شماله قال: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ» فيمين رسول الله صلى الله عليـه وسلم إليّ خـير من يمـيني وشـمالي. وأمـا يـوم الجمـع فقـال اللـه تعـالى: {إِنَّ الـذين تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَـوْمَ التقى الجمعـان إِنَّمَـا اسـتزلهم الشيطان بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَـدْ عَفَـا اللـه عَنْهُمْ} فكنت فيمن عفى الله عنهم. فخصم عثمان عبد الرحمن بن عوف.

ثم قال تعالى: {حَلِيمٌ يأَيُّهَا الـذين ءامَنُـواْ لاَ تَكُونُـواْ كالـذين كَفَـرُواْ} يعني منافقي أهل الكتـاب {وَقَـالُواْ لإخـوانهم} من المنـافقين: {إِذَا ضَـرَبُواْ فِى الارض} يعـني إذا سـاروا في الأرض تجـاراً مسـافرين، فماتوا في سفرهم {أَوْ كَانُواْ غُزًّى} يعني: خرجوا في الغزو فقتلـوا. قال القتبي: غزّاً جمع غاز، مثل صائم وصُوَّم، ونائم ونـوم {لَّوْ كَـانُواْ عِنْدَنَا} بالمدينـة {مَـا مَـاتُواْ} في سـفرهم {وَمَـا قُتِلُـواْ} في الغـزو {لِيَجْعَلَ الله ذلك} الظن {حَسْرَةً فِى قُلُـوبِهِمْ} ويقـال: جعـل اللـه ذلك القول حسرة في قلـوبهم لأنـه ظهـر نفـاقهم. وقـال الضـحاك: ليجعل الله ذلك حسرة في قلوب المنافقين، لأن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، تسرح في أشجار الجنان حيث شاءت.

وأرواح قتلى المنافقين في حواصل طير سُودٍ تسرح في الجحيم.

ثم قال تعالى: {والله يُحْيِـ وَيُمِيتُ} أي يحيي في السفر ويميت في الحضر، ويحيي في الحضر ويميت في السفر. ويقال: والله يحيي قلوب المؤمنين ويميت قلوب الكافرين، يحيي قلوب المؤمنين بالنصرة والخروج إلى الغزو، ويميت قلوب المنافقين بالتخلف وظن السوء. وقال الضحاك: يعني يحيي من أحيى من نطفة بقدرته، ويميت من أمات بعزته وسلطانه. {والله بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} قرأ عبد الله بن كثير وحمزة والكسائي: يعملون بالياء على معنى المغايبة. وقرأ الباقون: بالتاء. ومعناه قل لهم: والله بما تعملون بصير {وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ الله أَوْ مُتُّمْ} يعني: إن متم في إقامتكم، أو قتلتم في سبيل الله وأنتُم مُؤْمنون {لَمَغْفِرَةٌ مّنَ الله} لذنوبكم {وَرَحْمَةً} يعني: ونعمة وجنة {خَيْرٌ مّمَّا} في الدنيا من الأموال يا معشر المنافقين. قرأ أبو عمرو، وابن كثير، وابن عامر، وعاصم: متم بضم الميم في جميع القرآن، والباقون بكسرها. وهما لغتان ومعناهما واحد.

ثم قال: {يَجْمَعُونَ وَلَئِنْ مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ} في الغزو {لإِلَى الله تُحْشَرُونَ} بعد الموت. قرأ عاصم في رواية حفص: خير مما يَجْمَعون بالياء. وقرأ الباقون: بالتاء على معنى المخاطبة {فَبِمَا رَحْمَةٍ مّنَ الله لِنتَ لَهُمْ} يقول: فبرحمة من الله وما صلة، فالله ذكر منه أن جعل رسوله رحيماً رؤوفاً بالمؤمنين، حيث قال: فبرحمة من الله {لِنتَ لَهُمْ} يا محمد أني لينت لهم جانبك، وكنت رؤوفاً رحيماً بالمؤمنين {وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ القلب} أي خشناً في القول غليظ القول {لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ} أي لتفرقوا من عندك، ولكن الله جعلك سهلاً سَمْحاً طلقاً ليناً لطيفاً باراً رحيماً، وهكذا قال الضحاك.

ثم قال: {فاعف عَنْهُمْ} أي: فتجاوز عنهم، ولا تعاقبهم بما يكون منهم من الزلة والذنب {واستغفر لَهُمُ} من ذلك الذنب {وَشَاوِرْهُمْ فِى الامر} يقول: إذا أردت أن تعمل عملاً فاعمل بتدبيرهم

ومشاورتهم، ويقال: ناظرهم في الأمر. ويقال: ناظرهم عند القتال. وروي عن عبد الله بن مسعود أنه كان يقرأ: وشاوِرْهُمْ في بَعْضِ الأمر، لأنه كان يشاورهم فيما لم ينزل عليه الوحي فيه، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم عاقلاً ذا رأي، ولكنه أمر بالمشورة ليَقْتَدي به غيره، ولأن في المشاورة تودُّداً لأصحابه، لأنه إذا شَاوَرهم تَوَدَّد قلوبهم. وفي المشورة أيضاً ترك الملامة، لأنه يقال: فعلت كذا بمشاورتكم. وروى سهل بن سعيد الساعدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَا شَقِيَ عَبْدٌ قَطُّ بِمَشُورَةٍ وَمَا سَعِدَ عَبْدٌ بِاسْتِغْنَاءِ رَأْيٍ» ثم قال تعالى: {فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ} أي لا تتوكل على المشورة، ولكن توكل على الله بعد المشورة لا على الأصحاب {إِنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين} الذين يتوكلون على الله.

تفسير الآية رقم [160]

{إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (160)}

ثم أخبر عزّ وجلّ أن النصرة من عند الله كلها، فقال تعالى: {إِن يَنصُرْكُمُ الله} يقول إن يمنعكم الله {فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ} من العدو يعني يوم بدر {وَإِن يَخْذُلْكُمْ} يعني يوم أحد {فَمَن ذَا الذى يَنصُرُكُم مّنْ بَعْدِهِ} أي: يمنعكم من عدوكم {وَعَلَى الله فَلْيَتَوَكَّلِ المؤمنون} أي: فليتّق الواثقون في النصرة ويقال: على المؤمنين أن يتوكلوا على الله، لأنهم عرفوا أنه لا ناصر لهم غيره.

تفسير الآيات رقم [161- 163]

{وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (161) أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (162) هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ (163)}

قولـه تعـالى: {وَمَـا كَـانَ لِنَبِيّ أَنْ يَغُـلَّ} قـرأ ابن كثـير وأبـو عمـرو وعاصم: يَغُل بنصـب اليـاء. وقـرأ البـاقون: يُغَـل بضـم اليـاء ونصـب الغين. فمن قرأ بالنصب معناه: وما كان لنبي أن يخون في الغنيمة، ومن قرأ بالضم فمعناه: لا ينسب إلى الغلول. وذلك أنه لما كان يوم أحـد أخـذوا في النهب والغـارة وتركـوا القتـال، وخـافوا أن تفـوتهم الغنيمة، وظنوا أن من أخذ شيئاً يكون له، وأن النبيّ صلى الله عليـه وسلم لا يقسم لهم، فـنزلت هـذه الآيـة: {وَمَـا كَـانَ لِنَبِيّ أَنْ يَغُـلَّ} يقـول: مـا جـاز لنـبيّ أن يخـون في الغنيمـة، ومـا جـاز لأصـحابه أن ينسبوه إلى الخيانة {وَمَن يَغْلُلْ} أي يخن في الغنيمة {يَأْتِ بِمَا غَـلَّ يَوْمَ القيامة} يعني يحملـه على ظهـره. وهـذا كمـا روي عن رسـول الله صلى الله عليه وسلم أنه قـال: «لأعـرِفَنّ أَحَـدَكُمْ يَـوْمَ القِيَامَـةِ يَأْتِي عَلَى عُنقِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ فَـأَقُولُ: لاَ أَمْلِـكُ لَـكَ مِنَ الله شَيْئاً» يريد أن من غل شاة أو بقـرة، أتى بهـا يـوم القيامـة يحملها. ويقال: من غلّ شـيئاً في الـدنيا، يمثـل لـه يـوم القيامـة في النار، ثم يقال له: انزل إليه فَخُذْه، فيهبط إليه فإذا انتهى إليه حمله، فكلمـا انتهى بـه إلى البـاب سـقط منـه إلى أسـفل جهنم، فـيرجع فيأخذه فلا يزال كذلك ما شاء اللـه. ويقـال: {يَـأْتِ بِمَـا غَـلَّ} يعـني تشهد عليه يوم القيامة تلك الخيانة والغلول، ويقال هـذا على سـبيل التمثيل {يَأْتِ بِمَا غَـلَّ يَـوْمَ القيامـة} أي بوبالـه، فيكـون وبالـه على عنقه كما قال في آية أخرى: {قَدْ خَسِرَ الذين كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ الله حـتى إِذَا جَآءَتْهُمُ الساعة بَغْتَـةً قَـالُواْ ياحسـرتنا على مَـا فَرَّطْنَـا فِيهَـا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ على ظُهُورِهِمْ أَلاَ سَآءَ مَا يَزِرُونَ} [الأنعام: 31].

ثم قال تعالى: {ثُمَّ تـوفى كُـلُّ نَفْسٍ} أي تـوفى وتجـازى كـل نفس {مَّا عَمِلَتْ} من خـير أو شـر {وَهُمْ لاَ يُظْلَمُـونَ} يعـني لا ينقصـون من ثواب أعمالهم شيئاً {أَفَمَنِ اتبع رضوان الله} قال الكلبي: يعني أفمن أخـذ الحلال من الغنيمـة {كَمَن بَـاء بِسَـخْطٍ مّنَ اللـه} يعـني: كمن اسـتوجب سـخطاً من اللـه بأخـذ الغلـول من الغنـائم. ثم بيّن مستقر كل من غـل يـوم القيامـة ومن أخـذ من الحلال، فقـال لمن غل: {وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ المصـير} الـذي صـاروا إليـه يعـني النـار. وقال في حق من أخـذ الحلال: {هُمْ درجـات عِنـدَ اللـه} يعـني لهم

درجات في الجنة عند الله، ويقال: هم ذوو درجات عند اللـه {واللـه بَصِيرٌ بِمَـا يَعْمَلُـونَ} أي بمن غـلّ وبمن لم يغـل. وقـال القتـبي: هي طبقات عنـد اللـه في الفضـل، فبعضـهم أرفـع من بعض. وقـال أبـو عبيدة والكسائي: لهم درجات عند الله، ويقال لمن لم يغـل درجـات في الجنة، ولمن غل درجات في النار.

تفسير الآيات رقم [164- 168]

{لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُـولًا مِنْ أَنْفُسِـهِمْ يَتْلُـو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَـابَ وَالْحِكْمَـةَ وَإِنْ كَـانُوا مِنْ قَبْـلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (164) أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَـا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُـلْ هُـوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِـكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُـلِّ شَـيْءٍ قَـدِيرٌ (165) وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (166) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَـاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُـوا قَـالُوا لَـوْ نَعْلَمُ قِتَـالًا لَاتَّبَعْنَـاكُمْ هُمْ لِلْكُفْـرِ يَوْمَئِذٍ أَقْـرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ (167) الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (168)}

لَقَـد مَنَّ اللـه على المؤمـنين} أي أنعم اللـه عليهم {إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مّنْ أَنفُسِهِمْ} يعني: من أصلهم ونسبهم من العرب، يعرفـون نسـبه. ويقـال: من أنفسـهم، يعـني من جنسـهم من بـني آدم، ولم يجعلـه من الملائكـة. وإنمـا خـاطب بـذلك المؤمـنين خاصـة لأن المؤمـنين هم الـذين صـدقوه فكأنـه منهم. وقـرئ في الشـاذ: من أنفسكم بنصب الفـاء، أي من أشـرفهم. وقـد كـانت لـه فضـيلة في ثلاثة أشياء: أحدها: أنه كان من نسب شريف لأنهم اتفقوا أن العرب أفضل، ثم من العرب قريش، ثم من قريش بنو هاشـم، فجعلـه من

بني هاشم. والثاني: أنه كان أميناً فيهم قبل الوحي. والثالث: أنه كان أمياً لكي لا يرتاب فيه الافتعال.

ثم قال: {يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءاياته} أي يعرض عليهم القرآن {وَيُزَكّيهِمْ} يعني يأخذ منهم الزكاة ليطهر أموالهم، ويقال: ويزكيهم يعني يطهرهم من الذنوب والشرك. ويقال: ويزكيهم أي يأمرهم بكلمة الإخلاص، وهي قول لا إله إلا الله، {وَيُعَلّمُهُمُ الكتاب} يعني القرآن، والحكمة أي الفقه وبيان الحلال والحرام {وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضلال مُّبِينٍ} أي: وقد كانوا من قبل مجيء محمد صلى الله عليه وسلم لفي خطأ بَيِّن.

ثم رجع إلى قصة أُحد وذكر التعزية للمؤمنين بما أصابهم من الجراحات، فقال: {أَوَ لَمَّا أصابتكم مُّصِيبَةٌ} يعني يوم أحد {قَدْ أَصَبْتُمْ مّثْلَيْهَا} يوم بدر، لأن المسلمين يوم بدر قتلوا سبعين نفساً من صناديد قريش وأسروا سبعين، وقتل من المسلمين يوم أحد سبعين ولم يؤسر منهم أحد، فذلك قوله تعالى: {قَدْ أَصَبْتُمْ مّثْلَيْهَا} وقوله: {أَوَلَمَّا} فالألف للاستفهام والواو للعطف وما صلة، فكأنه قال: ولئن متم أو قتلتم أو أصابتكم مصيبة يوم أحد، قد أصبتم مثليها يوم بدر {مّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أنى هذا} يعني قلتم: فمن أين لنا هذا؟ وكيف أصابنا هذا ونحن مسلمون؟ {قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ} أي من عند قومكم بمعصية الرماة، بتركهم ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الضحاك: {قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ}، يعني بذنوبكم التي سلفت منكم قبل القتال، يعني أن في ذلك تطهيراً لما سلف من ذنوبكم وهو قوله تعالى: {وَمَآ أصابكم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ} [الشورى: 30]. {إِنَّ الله على كُلِّ شَئ قَدِيرٌ} من النصرة والهزيمة {وَمَا أصابكم يَوْمَ التقى الجمعان} فبإذن الله، أي جمع المسلمين وجمع المشركين {فَبِإِذْنِ الله} أي فبإرادة الله أصابكم {وَلِيَعْلَمَ المؤمنين وَلِيَعْلَمَ الذين نَافَقُواْ} يعني أصابتكم المصيبة لكي يظهر المؤمن من المنافق.

ثم بيّن أمر المنافقين وصنيعهم وقلة حسبتهم في أمر الجهاد، فقال: {وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ قَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ الله أَوِ ادفعوا} يعني: إن لم تقاتلوا لوجه الله، فقاتلوا دفعاً عن أنفسكم وحريمكم.

قال الكلبي: ويقال ادفعوا يعني: كثروا. وقال القتبي: ادفعوا، أي كثروا لأنكم إذا كثرتم ثم دفعتم القوم بكثرتكم {قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتبعناكم هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ للإيمان} يعني: أن ميلهم إلى الكفر أقرب من ميلهم إلى الإيمان. وقوله: {لاتبعناكم} أي لجئنا معكم. قال الضحاك: وذلك أن النبيّ صلى الله عليه وسلم لما خرج يوم أحد، أبصر كتيبة خثناء وفيها كبكبة من الناس، فقال: «مَنْ هَؤُلاءِ»؟ فقيل: يا نبيّ الله، هؤلاء حلفاء عبد الله بن أبي. فقال: «إِنَّا لاَ نَسْتَعِينُ بِالكُفَّارِ» فرجع عبد الله مع حلفائه من اليهود. فقال له عمر: أقم مع المؤمنين. فقال: {لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لاتبعناكم}. ويقال: إن عونهم للكفار أكثر من عونهم للمؤمنين {يَقُولُونَ بأفواههم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ} ذكر الأفواه على معنى التأكيد، لأن الرجل يقول بالمجاز بالإشارة، وهذا كما قال: {فَوَيْلٌ لّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الكتاب بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هذا مِنْ عِندِ الله لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ} [البقرة: 79] و{سَيَقُولُ لَكَ المخلفون مِنَ الاعراب شَغَلَتْنَا أموالنا وَأَهْلُونَا فاستغفر لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُمْ مِّنَ الله شَيْئاً إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرّاً أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعاً بَلْ كَانَ الله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً} [الفتح: 11] {والله أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ} من النفاق والكفر.

ونزل فيهم أيضاً: {الذين قَالُواْ لإخوانهم} من المنافقين {وَقَعَدُواْ} عن الجهاد {لَوْ أَطَاعُونَا} في القعود عن الجهاد {مَا قُتِلُوا} في الغزو {قُلْ} لهم يا محمد {فَادْرَءوا عَنْ أَنفُسِكُمُ} في حال حضور {الموت إِن كُنْتُمْ صادقين} في مقالتكم. قال الفقيه: سمعت بعض المفسرين بسمرقند يقول: لما نزلت هذه الآية: {فَادْرَءوا عَنْ أَنفُسِكُمُ المَوْتَ} مات يومئذ سبعون نفساً من المنافقين.

تفسير الآيات رقم [169- 170]

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ (169) فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (170)}

ثم نزل في شأن الشهداء: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله} يعني في طاعة الله

{أمواتا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ} من التحف؛ وذلك أن المسلمين كانوا يقولون مات فلان ومات فلان، فنزلت هذه الآية: {بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ} وهذا قول الكلبي. ويقال: ولا تظنن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً كسائر الأموات بل أحياء، يعني: هم كالأحياء عند ربهم، لأنه يُكْتب لهم أجرهم إلى يوم القيامة، فكأنهم أحياء في الآخرة. ويقال: لا تظن كما يظن الكفار بهم أنهم لا يبعثون، بل يبعثهم الله ويقال: أرواحهم في المنزلة والكرامة بمنزلة الشهداء الأحياء وروي عن عطاء عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لَمَّا أُصِيبَ إِخْوَانُكُمْ يَوْمَ أُحُدٍ، جَعَلَ الله أرْوَاحَهُم فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ، تَردُ أَنْهَارَ الجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ تَحْتَ العَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مُنْقَلَبِهِمْ وَمَطْعَمِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ، وَرَأَوْا مَا عِنْدَ الله لَهُمْ مِنَ الكَرَامَةِ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، قَالُوا: يَا لَيْتَ إخْوَانِنَا عَلِمُوا مَا أَعدَّ الله لَنَا مِنَ الكَرَامَةِ، وَمَا نَحْنُ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ، فَلَمْ يَنكلُوا عِنْدَ اللِّقَاءِ وَلَمْ يَجْبُنُوا عِنْدَ القِتَالِ، فَقَالَ الله تَعَالَى أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ: {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الذين قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ الله أمواتا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبّهِمْ يُرْزَقُونَ}» {فَرِحِينَ} أي معجبين {بِمَا ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ} أي من رزقه في الجنة {وَيَسْتَبْشِرُونَ بالذين لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مّنْ خَلْفِهِمْ} من إخوانهم من بعدهم أن يأتوهم.

ثم رجع إلى الشهداء فقال تعالى: {أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ} فيما يستقبلهم {وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ} على ما خلفوا من الدنيا. قرأ ابن عامر وعاصم وحمزة: ولا تَحْسَبَنَّ بنصب السين في جميع القرآن. وقرأ الباقون:

بالكسر. وقرأ ابن عامر: قُتِّلُوا بتشديد التاء على معنى التكثير، يعني أنهم يقتلون واحداً فواحداً. وقرأ الباقون بالتخفيف.

تفسير الآيات رقم [171- 171]

{يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ (171)}

قوله تعالى: {وَيَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مّنَ الله وَفَضْلٍ} يقول: بجنة من الله، ويقال: بمغفرة من الله {وَفَضَّلَ} يعني: الكرامات في الجنة. وروي عن مجاهد أنه كان يقول: السيوف مفاتيح الجنة. وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الشَّهِيدُ يَشفعُ فِي سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِهِ» قال الفقيه: أروي هذا الحديث بمعناه لا بلفظه، إن الله تعالى أكرم الشهداء بخمس كرامات، لم يكرم بها أحد من الأنبياء ولا أنا، إحداها: أن جميع الأنبياء قبض أرواحهم ملك الموت وهو الذي سيقبض روحي، وأما الشهداء فالله تعالى هو الذي يقبض أرواحهم بقدرته كيف يشاء، ولا يسلط على أرواحهم ملك الموت. والثانية: أن جميع الأنبياء قد غُسِّلوا بعد الموت، وأنا أغسَّل بعد الموت، وأما الشهداء فلا يغسلون ولا حاجة لهم إلى ماء الدنيا. والثالثة: أن جميع الأنبياء قد كفنوا وأنا أكفن أيضاً، والشهداء لا يكفنون بل يدفنون في ثيابهم. والرابعة: أن جميع الأنبياء لما ماتوا فقد سُمُّوا أمواتاً، وإذا مت أنا يقال: قد مات؛ والشهداء لا يُسمون موتى. والخامسة: أن الأنبياء تعطى لهم الشفاعة يوم القيامة، وشفاعتي أيضاً يوم القيامة، وأما الشهداء فيشفع لهم في كل يوم فيمن يستشفعون.

ثم قال تعالى: {وَأَنَّ الله لاَ يُضِيعُ أَجْرَ المؤمنين} قرأ الكسائي: وإنَّ بكسر الألف، والباقون بالنصب. فمن قرأ بالنصب فمعناه يستبشرون بنعمة من الله، ويستبشرون بأن الله لا يضيع ثواب المؤمنين الموحدين. ومن قرأ بالكسر على معنى الابتداء: إن الله لا يبطل ثواب عمل الموحدين، وهذا الخبر للترغيب في الجهاد. وأما

الشـهداء والأوليـاء، فيشـفع لهم لا يبلغـون إلى درجـة الأنبيـاء. ومن قال: إنهم يبلغون إلى درجة الإباحة، ومن أنكر كرامات الأوليـاء فهـو معتزلي.

تفسير الآيات رقم [172- 175]

{الَّذِينَ اسْـتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُـولِ مِنْ بَعْـدِ مَـا أَصَـابَهُمُ الْقَـرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَـنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَـوْا أَجْـرٌ عَظِيمٌ (172) الَّذِينَ قَـالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَـوْهُمْ فَـزَادَهُمْ إِيمَانًـا وَقَـالُوا حَسْـبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيـلُ (173) فَـانْقَلَبُوا بِنِعْمَـةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْـلٍ لَمْ يَمْسَسْـهُمْ سُـوءٌ وَاتَّبَعُـوا رِضْـوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْـلٍ عَظِيمٍ (174) إِنَّمَـا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَـوِّفُ أَوْلِيَـاءَهُ فَلَا تَخَـافُوهُمْ وَخَـافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُـؤْمِنِينَ (175)}

قوله تعالى: {الذين استجابوا لِلَّهِ والرسول} قال في رواية الكلبي: وذلك أن أبا سفيان حين رجع من أحـد، نـادى فقـال: يـا محمـد، إن الموعد بيننا وبينك موسم بدر الصغرى. فقال صلى الله عليه وسـلم لعمر: «قُلْ لَـهُ ذَلِـكَ بَيْنَنَـا وَبَيْنَـكَ إِنْ شَـاءَ اللـه تَعَـالَى» ثم نـدم أبـو سفيان، فقال لنعيم بن مسعود وكان يخرج إلى المدينة للتجـارة: إذا أتيت المدينة، فخوّفهم لكيلا يخرجوا. فلما قدم نعيم المدينة قال: إن أبا سفيان قد جمع خلقاً كثيرة، فكره أصحاب رسول الله صلى اللـه عليه وسلم الخروج إليهم وتثاقلوا، فلما رأى ذلك رسول اللـه صـلى الله عليه وسلم منهم قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَـدِهِ لأَخْـرُجَنَّ إِلَيْهِمْ وَإِنْ لَمْ يَخْرُجْ مَعِي مِنْكُمْ أَحَدٌ» قال: فمضى رسول الله صلى اللـه عليـه وسلم للميعاد، ومعـه نحـواً من سـبعين رجلاً، حـتى انتهـوا إلى ذلـك الموضع، وكان هنالك سوق فلم يخرج أحد من أهل مكـة، فتسـوقوا من السوق حاجتهم وانصرفوا، فنزل قوله تعالى: {الـذين اسـتجابوا لِلَّهِ والرسول}.

{مِن بَعْدِ مَا أصـابهم القـرح} يعـني أصـابتهم الجراحـات يـوم أُحـد {لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ} أي الـذين أوفـوا الميعـاد {واتقـوا} السـخط

في معصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم {أَجْـرٌ عَظِيمٌ} أي ثواب كثير {الذين قَـالَ لَهُمُ النـاس} يعـني نعيم بن مسـعود، وإنمـا أراد به جنس الناس وكان رجلاً واحداً {إِنَّ النـاس قَـدْ جَمَعُـواْ لَكُمْ} يعني أبا سفيان وأصحابه {فاخشـوهم} ولا تخرجـوا إليهم {فَـزَادَهُمْ إيمانا} أي تصديقاً، ويقيناً، وجرأة على القتـال {وَقَـالُواْ حَسْـبُنَا اللـه وَنِعْمَ الوكيل} أي ثقتنا بالله، وأيقنوا أن الله لا يخـذل محمـداً صـلى اللـه عليـه وسـلم {وَنِعْمَ الوكيـل} أي نعم الثقـة لنـا. {فـانقلبوا} انصرفوا {بِنِعْمَـةٍ مّنَ اللـه} أي بـأجر من اللـه {وَفَضَّـلَ} يعـني مـا تســوقوا بــه من الســوق، واشــتروا الأشــياء بســعر رخيص {لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوء} يعني قتال {واتبعـوا رضـوان اللـه واللـه ذُو فَضْـلٍ عَظِيمٍ} أي ذو مَنٍّ عظيم. وقال في رواية الضحاك: كـان ذلـك يـوم أحد، لّما انهزمت قريش، ونزلت في مواضع، وكثرت الجراحـات في أصحاب محمد صلى الله عليه وسـلم، فهمّ رسـول اللـه صـلى اللـه عليه وسلم بالخروج إليهم فأجابـه سـبعون رجلاً، فـنزلت هـذه الآيـة قوله تعالى: {إِنَّمَـا ذلكم الشـيطان يُخَـوّفُ أَوْلِيَـاءهُ} يعـني نعيم بن مسعود، لأن كل عات متمرد شيطان يخوف أوليـاءه، يعـني بأوليائـه الكفار. ويقال: يخوف أشكاله. وقال الزجاج: {إِنَّمَا ذلكم الشيطان} أي ذلك التخويف عمل الشيطان، يخوفكم من أوليائه. وقال القتبي: يخوف أولياءه أي بأوليائه، أي كما.

قال تعالى: {قَيِّماً لِّيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المؤمنين الذين يَعْمَلُونَ الصالحات أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا} [الكهـف: 2] يعـني لينـذركم ببأس شديد.

ثم قال تعالى: {فَلاَ تَخَافُوهُمْ} في الخـروج {وَخَـافُونِ} في القعـود {إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} أي مصـــدقين. قـــال الزجـــاج: معنـــاه إن كنتم مصدقين، فقد أعلمتكم أني أنصركم عليهم.

تفسير الآيات رقم [176- 176]

{وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (176)}

{وَلاَ يَحْزُنكَ الذين يسارعون فِى الكفر} قال الكلبي: يعني به المنافقين ورؤساء اليهود، كتموا صفة محمد صلى الله عليه وسلم في الكتاب فنزل: {وَلاَ يَحْزُنكَ الذين يسارعون فِى الكفر}. ويقال: إن أهل الكتاب لما لم يؤمنوا، شقّ ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن الناس ينظرون إليهم ويقولون: إنهم أهل الكتاب، فلو كان قوله حقاً لاتبعوه. فنزلت هذه الآية. ويقال: نزلت في مشركي قريش، لأنهم كانوا أقرباءه، والناس يقولون: لو كان قوله حقاً لاتبعه أقرباؤه، فشق ذلك عليه فنزلت {وَلاَ يَحْزُنكَ الذين يسارعون فِى الكفر} أي يبادرون في الكفر ولا يصدقونك {إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّواْ الله شَيْئاً} أي لا ينقصوا من ملك الله شيئاً وسلطانه شيئاً بكفرهم وهذا كما روى أبو ذر الغفاري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قَالَ الله لَو أنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَجِنَّكُمْ وَإِنْسَكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذلك فِي مُلْكِ الله شَيْئاً وَلَوْ كَانَ أَوَّلُكُمْ وَآخِرُكُمْ وَجِنُّكُمْ وَإِنْسُكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ مِنْ مُلْكِ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ»

ثم قال تعالى: {يُرِيدُ الله أَن ألا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِى الاخرة} أي نصيباً في الجنة {وَلَهُمْ عَذَابٌ عظِيمٌ} في الآخرة. قرأ نافع: ولا يُحْزِنْكَ بضم الياء وكسر الزاي، وكذلك ما كان نحو هذا في جميع القرآن إلا في قوله تعالى: {لاَ يَحْزُنُهُمُ الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يَوْمُكُمُ الذى كُنتُمْ تُوعَدُونَ} [الأنبياء: 103] وقرأ الباقون بنصب الياء وضم الزاي، وهما لغتان وتفسيرهما واحد.

تفسير الآيات رقم [177- 177]

{إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (177)}

ثم قال تعالى: {إِنَّ الذين اشتروا} يعني اختاروا {الكفر بالإيمان لَن يَضُرُّواْ الله شَيْئاً} يقول لن ينقصوا من ملك الله شيئاً، وإنما أضـروا بأنفسهم حيث استوجبوا لأنفسهم العـذاب، {وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ} في الآخرة.

تفسير الآيات رقم [178- 178]

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَـرُوا أَنَّمَـا نُمْلِي لَهُمْ خَيْـرٌ لِأَنْفُسِـهِمْ إِنَّمَـا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (178)}

قوله تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين كَفَرُواْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لاِنفُسِهِمْ} يعني: لا يظن الكفار أن الـذي نملي لهم ونمهلهم خـير لهم، ويقـال: ما نعطيهم من المال والولد لا يظنن أن ذلـك خـير لهم في الآخـرة، بل هو شر لهم في الآخرة {إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُواْ إِثْمَاً وَلَهْمُ عَذَابٌ مُّهِينٌ} أي نعطي لهم المال والولد، يهانون بـه من العـذاب. ويقـال: إنما نملي لهم، أي بما أصابوا من الظفر يوم أحد لم يكن ذلك خـيراً لأنفسهم، وإنما كان ليزدادوا عقوبـة. ويقـال: إنمـا نملي لهم ونـؤخر العذاب عنهم ليزدادوا إثماً، أي جرأة على المعاصي. وإنما كان ذلـك مجازاة لكفرهم وخبث نيـاتهم. وروي عن عبـد اللـه بن مسـعود أنـه قال: ما من بر وفاجر إلا والموت خير له، لأنه إن كان براً فقـد قـال اللـه تعـالى: {لَكِنِ الـذين اتقـوا رَبَّهُمْ لَهُمْ جنـات تَجْـرِى مِن تَحْتِهَـا الانهار خالدين فِيهَا نُزُلاٍ مِّنْ عِندِ الله وَمَا عِندَ الله خَيْـرٌ لّلأَبْـرَارِ} [آل عمران: 198] وإن كان فاجراً فقد قال الله تعالى: {إِنَّمَـا نُمْلِى لَهُمْ لِيَـزْدَادُواْ إِثْمَـاً} قـرأ ابن عـامر وعاصـم: لا يحسـبن باليـاء ونصـب السين. قرأ الباقون بالتاء وكسر السين، وكذلك الذي بعد هذا.

تفسير الآيات رقم [179- 179]

{مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَـــا كَـــانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَـاءُ فَـآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُـلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُـوا وَتَتَّقُـوا فَلَكُمْ أَجْـرٌ عَظِيمٌ (179)}

ثم قال تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين على مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} قـال الكلبي: وذلك أن قريشاً من أهـل مكـة قـالوا: يـا رسـول اللـه إنـك تزعم أن الرجل منا في النار، وإذا ترك ديننا واتبع دينك قلت هو من أهل الجنة، فأخبرنا عن هذا من أين هو؟ وأخبرنا مَن يأتيك منـا ومن لا يأتيك؟ فأنزل الله تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين على مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ} من الكفر والنفاق. {حتى يَمِـيزَ الخـبيث مِنَ الطيب} يقـول: حـتى يخلص الكـافر من المـؤمن {وَمَـا كَـانَ اللـه لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيب} أي ليـبين لكم المـؤمن من الكـافر قبـل أن يـؤمن. وقـال الفراء: لم يكن الله ليعلمكم ذلـك فيطلعكم على غيبـه {وَلَكِنَّ اللـه يَجْتَبِى} يقول يصطفي {مِن رُّسُلِهِ مَن يَشَاء} للنبـوة والرسـالة من خلقه، فيـوحي إليـه بإذنـه. قـال في روايـة الضـحاك: إن المنـافقين أعلنوا الإسلام وأسروا الكفر، وصلوا وجاهدوا مع المؤمـنين، فـأحب الله أن يميز بين الفريقين، وأن يدل رسوله على سـرائر المنـافقين فقال تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَـذَرَ المؤمـنين على مَـا أَنتُمْ عَلَيْـهِ حـتى يَمِيزَ الخبيث مِنَ الطيب} يعني المنافق من المؤمن {وَمَا كَانَ اللـه لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيب} ولكن اللـه يطلـع أنبيـاءه ورسـله، يعـني: أن المؤمنين لا يعلمون سر المنافقين، ولكن الله يبين ذلك للنبي صـلى الله عليه وسلم. ويقال: {مَّا كَانَ اللـه لِيَـذَرَ المؤمـنين}، أي ليـترك من علم أنـه من أهـل الإيمـان على مـا أنتم عليـه من الكفـر حـتى يوفقـه للإيمـان، {وَمَـا كَـانَ اللـه لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الغيب} ولكن اللـه يطلع أنبياءه ورسله بالوحي، حتى يكون ذلك علامة لنبوتهم.

ثم قال تعالى: {مَّا كَانَ الله لِيَذَرَ المؤمنين} بالله ورسله {وَتَتَّقُـواْ} الشرك والمعصـية {فَلَكُمْ أَجْـرٌ عَظِيمٌ} أي ثـواب عظيم في الجنـة. ويقال: إن الكفار لما سألوا رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم أن يـبيّن لهم من يـؤمن منهم، فـنزل قولـه: {مَّا كَـانَ اللـه} يعـني ولا

تشتغلوا بما لا يعنيكم، واشتغلوا بما يعنيكم، فآمنوا بالله ورسله فإنكم إن فعلتم ذلك فلكم أجر عظيم. قرأ حمزة والكسائي: حتى يُميزِ مع التشديد بضم الياء ونصب الميم. وقرأ الباقون بنصب الياء وكسر الميم بغير تشديد، وتفسيرهما واحد إلا انك إذا قرأت بالتشديد قد يكون عبارة عن الكثرة والمبالغة.

تفسير الآيات رقم [180- 181]

{وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (180) لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (181)}

ثم قال تعالى: {وَلاَ يَحْسَبَنَّ الذين يَبْخَلُونَ بِمَا ءاتاهم الله مِن فَضْلِهِ} أي بما أعطاهم الله من المال، يبخلون ويمنعون الزكاة والصدقة وصلة الأرحام، فلا يظنوا أن ذلك {هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ} يعني: أن البخل شر لهم. ويقال: الفضل شر لهم {سَيُطَوَّقُونَ} يقول سيوثقون {مَا بَخِلُواْ بِهِ} من الزكاة كهيئة الطوق. وروي عن ابن عباس أنه قال: يأتي كنز أحدهم، شجاع أقرع له زبيبتان طوقاً في عنقه، يلدغ خديه ويقول: أنا الزكاة التي بخلت بي في الدنيا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو هذا فذلك قوله تعالى: {سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ القيامة} ويقال: هو طوق من نار في عنقه. ويقال: هو على وجه المثل، يعني وبال ذلك في عنقهم كما قال في آية أخرى: {وَكُلَّ إنسان ألزمناه طائره فِى عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القيامة كِتَابًا يلقاه مَنْشُوراً} [الإسراء: 13].

قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السموات والارض} يعني إذا هلك الخلق كلهم أهل السموات من الملائكة، وأهل الأرض من الإنس والجن وسائر الخلق، ويبقى رب العالمين ثم يقول: {يَوْمَ هُم بارزون لاَ يخفى عَلَى الله مِنْهُمْ شَىءٌ لِّمَنِ الملك اليوم لِلَّهِ الواحد القهار}

[غـافر: 16]. فلا يجيب أحـد فـيرد على نفسـه فيقـول: {ياصـاحبى السجن ءَأَرْبَابٌ مُّتَّفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ الله الواحـد القهـار} [يوسـف: 39 وغيرها] فذلك قوله تعالى: {وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السـموات والارض} يعـني يهلك أهل السموات والأرض ولم يبق لأحد ملك. وإنما سمي ميراثـاً على وجه المجاز، لأن القرآن بلغـة العـرب، وكـانوا يعرفـون أن من رجع الملك إليه يكـون ميراثـاً على وجـه المجـاز، وأمـا في الحقيقـة فليس بميراث، لأن الوارث في الحقيقة هو الذي يرث شـيئاً لم يكن يملكه من قبل، والله عز وجل مالكهما، وكانت السـموات ومـا فيهـا والأرض وما فيها له، وإنمـا كـانت الأمـوال عاريـة عنـد أربابهـا، فـإذا ماتوا رجعت العارية إلى صاحبها الذي كانت لـه في الأصـل. ومعـنى الآية أن الله تعالى أمر عباده أن ينفقـوا ولا يبخلـوا، قبـل أن يموتـوا ويتركوا المال ميراث الله لله تعالى، ولا ينفعهم إلا ما أنفقوا.

ثم قال تعالى: {والله بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} أي عالم بمن يؤدي الزكـاة وبمن يمنعها، فيجازي كل نفس بما عملت. قرأ ابن كثير وأبو عمـرو بما يعملون بالياء، والباقون بالتاء على وجـه المخاطبـة {لَّقَـدْ سَـمِعَ الله قَوْلَ الذين قَالُواْ إِنَّ الله فَقِـيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَـاء}. وقـال في روايـة الضحاك: لما نزل على رسول اللـه صـلى اللـه عليـه وسـلم: قـالت الفجرة من كفرة اليهود: أفقـير ربنـا فيستقرضـنا؟ قـالوا ذلـك على وجه الاستهزاء، فنزلت هذه الآية.

ويقـال إن النـبي صـلى اللـه عليـه وسـلم بعث أبـا بكـر إلى اليهـود ليأمرهم بالإسلام، وأن يعطوا الصدقة ويؤمنوا، فلما انتهى إليهم أبـو بكر قال فنحاص بن عـازورا: أيسـأل اللـه منـا الصـدقة؟ فهـو فقـير ونحن أغنياء. فنزلت هذه الآية {لَّقَدْ سَمِعَ الله قَـوْلَ الـذين قَـالُواْ إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ} أي حفظ قـولهم ونجـازيهم ويقـال: سـنكتب مـا قـالوا، يعـني: يكتب عليهم الكـرام الكـاتبون ويؤاخذون به في الآخـرة {وَقَتْلِهِمُ} أي ونكتب قتلهم {الانبيـاء بِغَيْـرِ حَقّ} يعني بلا جرم {وَنَقُـولُ ذُوقُـواْ عَـذَابَ الحريـق} أي تقـول لهم خزنة جهنم في الآخرة ذلك. قرأ حمزة: سيُكتَب بضـم اليـاء ونصـب التاء، وقتلُهم الأنبياءَ بضم اللام على معنى فعل مـا لم يسـم فاعلـه،

يعني يكتب قتلهم الأنبياء، ويقـول باليـاء. والبـاقون سـنكتب بـالنون، وقتلهم بنصب اللام، ونقول بالنون. وقوله: {ذُوقُواْ عَـذَابَ الحريـق} روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لَوْ أَنَّ شَرَارَةً وَقَعَتْ بِالمَشْـرِقِ لَغَلَتْ مِنْهَـا جَمَـاجِمُ قَـوْمٍ بِـالمَغْرِبِ، وَلَـوْ أَنَّ حَلقَـةً مِنْ سَلاَسِلِ النَّارِ وُضِعَتْ عَلَى رَأسِ جَبَلٍ لاَحْتَرَقَ إلى سَبْعِ أَرَضِين» فهذا معنى قوله: {عَذَابَ الحريق}.

تفسير الآيات رقم [182- 182]

{ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (182)}

ثم قال: {ذلك بِمَا قَدَّمَتْ} يعني يقال لهم: ذلك العذاب بمـا قـدمت {أَيْدِيكُم} من الكفر والتكـذيب، أي بمـا قـدمتم. وذكـر الأيـدي على معنى الكتابة {وَأَنَّ الله لَيْسَ بظلام لّلْعَبِيدِ} أي لا يعـذب أحـداً بغيـر ذنب.

تفسير الآيات رقم [183- 183]

{الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُـؤْمِنَ لِرَسُـولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَـا بِقُرْبَـانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَـاءَكُمْ رُسُـلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَـاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (183)}

قولـه تعـالى: {الـذين قَـالُواْ} يعـني كعب بن الأشـرف، ومالـك بن الضيف وغيرهما من رؤساء اليهود: قالوا: {إِنَّ الله عَهِدَ إِلَيْنَا} يعـني أمرنا في التوراة {أَن لا نُّؤْمِنُ} يعـني أن لا نصـدق {لِرَسُـولٍ حـتى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النار} يعني تجيء نار من السماء فتأكـل القربـان بالبينات، فإن جئتنا بها صدقناك قال الله تعالى: {قُلْ} يا محمد {قَدْ جَـاءكُمْ رُسُـلٌ مّن قَبْلِى بالبينـات وبالـذى قُلْتُمْ} يعـني: بالآيـات والعلامات {وبالذى قُلْتُمْ} يعني قد جـاءكم الرسـل بالـذي قلتم من أمر القربان {فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ} يعني زكريا ويحيى وغيرهما {إِن كُنتُمْ صادقين} فيما تقولون.

تفسير الآيات رقم [184- 184]

{فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ (184)}

قوله تعالى: {فَإِن كَذَّبُوكَ} بما تقول لهم {فَقَدْ كُذّبَ رُسُلٌ مّن قَبْلِكَ} فالله تعالى يعزي نبيه ليصبر على تكذيبهم، فقد {موسى بالبينات} يعني الرسل جاؤوا بالبينات، أي من قبلك، وقد جاؤوا بالآيات والعلامات {والزبر} قال الكلبي: يعني بأحاديث الأنبياء من قبلهم بالنبوة على ما يكون {والكتاب المنير} يعني: الحلال والحرام. وقال الزجاج: الزبر جماعة الزبور وهو الكتاب يقال: زَبَرْتُ أي كتبت، ويقال: زَبَرْتُ أي قرأت، والكتاب المنير يعني المعنيّ بالحلال والحرام. قرأ أبو عمرو بالزبر مع الباء، وقرأ الباقون والزبر بالواو.

تفسير الآيات رقم [185- 185]

{كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ (185)}

ثم قال تعالى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت} قال الكلبي: لما نزل قوله تعالى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ} [الرحمن: 26] قالت الملائكة هلك أهل الأرض، فلما نزل: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الموت} أيقنت الملائكة أنها هلكت معهم. ثم قال {وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ} أي توفون ثواب أعمالكم {يَوْمَ القيامة فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النار} يقول بَعُد وَنُحِّي عنها {وَأُدْخِلَ الجنة فَقَدْ فَازَ} يعني: نجا وسعد في الجنة. حدثنا محمد بن الفضل قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف، قال: حدثنا المسيب عن الأعمش، عن زيد بن وهب، عن عبد الرحمن بن عبد رب الكعبة، عن عبد الله بن عمرو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الجَنَّةَ

فَلْيَأت إِلَى النَّاسِ مَا يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْه» وقوله: {وَما الحياة الدنيا إِلاَّ متاع الغرور} قال ابن عباس: متاع الغرور مثل القدر والقارورة والسكرجة ونحو ذلك، لأن ذلك لا يدوم، وكذلك الدنيا تزول وتفنى ولا تبقى. ويقال: هو مثل الزجاج الذي يسرع إليه الكسر، ولا يصلحه الجبر. ويقال: كزاد المسافر، يسرع إليه الفناء فكذلك الدنيا.

تفسير الآيات رقم [186- 186]

{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186)}

قوله تعالى: {لَتُبْلَوُنَّ فِى أموالكم وَأَنفُسِكُمْ} يقول: لتختبرن في أموالكم بالنقصان والذهاب، ويقال بوجوب الحقوق فيها وفي أنفسكم، بالأمراض والأوجاع والقتل {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الذين أُوتُواْ الكتاب مِن قَبْلِكُمْ} حين قالوا: {لَّقَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ الذين قالوا إِنَّ الله فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ الانبياء بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ الحريق} [آل عمران: 181] {وَمِنَ الذين أَشْرَكُواْ} يعني مشركي العرب {أَذًى كَثِيراً} باللسان والفعل، ويقال: نزلت الآية في شأن أبي بكر رضي الله عنه، كانوا أهل الجاهلية يهددونه ويشتمونه ويقولون: إن ما يفعله محمد صلى الله عليه وسلم بمشاورته، فأمره الله تعالى بأن يصبر على أذاهم. فقال تعالى: {وَأَن تَصْبِرُواْ} على أذاهم {وَتَتَّقُواْ} المكافأة ويقال وتتقوا معاصيه {فَإِنَّ ذلك مِنْ عَزْمِ الامور} يعني من حقائق الأمور. ويقال: إن ذلك الصبر من خير الأمور.

تفسير الآيات رقم [187- 195]

{وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ (187) لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ

يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (188) وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (189) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (192) رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ (193) رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ (194) فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ (195)}

قوله تعالى: {وَإِذْ أَخَذَ الله ميثاق الذين أُوتُواْ الكتاب} يعني: أخذ عليهم الميثاق حين أخذ ذرية آدم من ظهورهم. ويقال: أخذ عليهم الميثاق بالوحي في كتب الأنبياء {لَتُبَيّنُنَّهُ لِلنَّاسِ} يعني: نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته {وَلاَ تَكْتُمُونَهُ} عنهم. قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: ليبيننه للناس ولا يكتمونه، كلاهما بالياء. وقرأ الباقون بالتاء، فمن قرأ بالياء فمعناه أخذ عليهم الميثاق ليبيننه للناس ولا يكتمونه، ومن قرأ بالتاء فمعناه أخذ عليهم الميثاق، وقال لهم: لتبيننه للناس ولا تكتمونه. ثم أخبر عن سوء معاملتهم ونقضهم الميثاق فقال تعالى: {فَنَبَذُوهُ وَرَاء ظُهُورِهِمْ} أي طرحوه خلف ظهورهم، يعني أنهم تركوا الميثاق ولم يعملوا به {واشتروا بِهِ} أي بكتمان نعت محمد صلى الله عليه وسلم وصفته {ثَمَناً قَلِيلاً} أي عَرضاً يسيراً من متاع الدنيا {فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ} يعني: بئس ما يختارون لأنفسهم الدنيا على الآخرة {لاَ تَحْسَبَنَّ} يقول: لا تظنن يا محمد {الذين يَفْرَحُونَ بِمَا أُوتُواْ} يقول: يعجبون بما أوتوا، يعني بما غيّروا من نعته وصفته، وهذا قول الكلبي. وقال الضحاك: إن اليهود كانوا يقولون للملوك: إنا نجد في كتابنا أن الله

يبعث نبياً في آخر الزمـان يختم بـه النبـوة، فلمـا بعثـه اللـه سـألهم الملوك: أهو هذا الذي تجدونه في كتابكم؟ فقالت اليهـود طمعـاً في أموال الملوك: هو غير هذا. فأعطاهم الملوك مالاً فقال الله تعـالى: {لاَ تَحْسَـبَنَّ الـذين يَفْرَحُـونَ بِمَـا أُوتُـواْ} أي بمـا أعطـاهم الملـوك {وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُواْ بِمَا لَمْ يَفْعَلُواْ} لأنهم كـانوا يقولـون: نحن على دين إبراهيم ولم يكونوا على دينه. ويقـال: كـانوا يقولـون نحن أهـل الصلاة والصوم والكتاب، ويريدون أن يحمدوا بذلك. قال الله تعالى: {فَلاَ تَحْسَـبَنَّهُمْ} يقـول فلا تظنهم {بِمَفَـازَةٍ مّنَ العـذاب} معنـاه لا تظنن أنهم ينجون من العذاب بـذلك {وَلَهُمْ عَـذَابٌ أَلِيمٌ} أي دائم لا يخرجون منه أبداً.

{وَللَّهِ مُلْـكُ السـموات والارض} أي خـزائن السـموات المطـر، وخـزائن الأرض النبـات. ويقـال: جميـع من في السـموات والأرض عبيده وفي ملكه {والله على كُلّ شَـيْء قَـدِيرٌ} من النبـات وغـيره. ويقـال: هـذا معطـوف على أول الكلام أنهم لا ينجـون من عذابـه، يأخـذهم مـتى شـاء لأنـه على كـل شـيء قـدير {إِنَّ فِي خَلْـقِ *** السموات والارض} وذلك أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى اللـه عليه وسلم أن يأتيهم بآية لصحة دعواه، لأنه كان يدعوهم إلى عبادة اللـه وحـده، فـنزل {إِنَّ فِي خَلْـقِ السـموات والارض} أي خلقين عظيمين. ويقـال: فيمـا خلـق في السـموات من الشـمس والقمـر والنجـوم، ومـا خلـق في الأرض من الجبـال والبحـار والأشـجار {واختلاف اليل والنهار} يقول: وذهاب الليـل ومجيء النهـار، ويقـال اختلاف لونيهمـا {لاَيَـاتٍ} أي لعـبرات {لاِوْلِى الالبـاب} أي لـذوي العقول {الذين يَذْكُرُونَ الله قياما وَقُعُوداً} أي يصلون للـه قيامـاً إن اسـتطاعوا على القيـام، وقعـوداً إن لم يسـتطيعوا القيـام {وعلى جُنُوبِهِمْ} إن لم يستطيعوا القعود لزمانة.

ويقال: معناه الذين يذكرون الله في الأحـوال كلهـا في حـال القيـام والقعود والاضطجاع، كما قال في آية أخـرى: {ياأيهـا الـذين ءَامَنُـواْ اذكروا اللـه ذِكْـراً كَثِـيراً} [الأحـزاب: 41] ثم قـال: {وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْـقِ السـموات والارض} أي يعتـبرون في خلقهمـا. قـال: حـدثنا

الخليل بن أحمد، قال: حدثنا السراج، قال: حدثنا قتيبة، قـال: حـدثنا ابن زرارة الحلـبي، عن أبي حبـاب، عن عطـاء بن أبي ربـاح قـال: دخلت مـع ابن عمـر وعبيـد بن عمـير على عائشـة، فسـلمنا عليهـا فقـالت: من هـؤلاء؟ فقلت: عبـد اللـه بن عمـر، وعبيـد بن عمـير. فقالت: مرحباً بك يا عبيد بن عمير، ما لك لا تزورنا؟ فقال عبيـد: زر غبّاً تَزْدَدْ حُبّاً فقال ابن عمر: دعونا من هذا، حدثينا بـأعجب مـا رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبكت بكاء شـديداً ثم قـالت: كل أمـره عجب، أتـاني في ليلـتي فـدخل في فراشـي حـتى ألصـق جلده بجلدي، فقـال: «يَـا عَائِشَـةُ أَتَـأْذَنِينَ لِي أنْ أَعْبُـدَ رَبِّي» فقلت: والله إني لأحب قربك، والله إني لأحب هواك. فقـام إلى قربـة مـاء فتوضأ، ثم قام فبكى وهو قـائم حـتى روت الـدموع حجـره، ثم اتكـأ على شقه الأيمن، ووضع يده اليمـنى تحت خـده الأيمن، فبكى حـتى روت الدموع الأرض. ثم أتاه بلال بعـدما أذن للفجـر، فلمـا رآه يبكي قال: أتبكي يا رسول الله وقد غفر الله لك مـا تقـدم من ذنبـك ومـا تأخر؟ فقال: «يَا بِلالُ أفَلا أَكُونُ عَبْـداً شَـكُوراً، وَمَـا لِي لا أَبْكِي وَقَـدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةُ {إِنَّ فِي خَلْقِ السموات والارض إِلَى... قَوْلُهُ فَقِنَـا عَذَابَ النَّارِ} وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَها وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قـال: «تَفَكَّرُوا فِي الخَلْـقِ وَلا تَتَفَكَّرُوا فِي الخَالِقِ» وقال صلى الله عليه وسلم: «تَفَكُّرُ سَـاعَةٍ خَيْـرٌ مِنْ عِبَـادَةِ سَنَةٍ»

ثم قال تعالى عز وجـل: {رَبَّنَـا مَـا خَلَقْتَ هَـذا بـاطلا} أي يتفكـرون ويقولون: ربنا ما خلقت هذا بـاطلاً عبثـاً بغـير شـيء، ولكن خلقتهمـا لأمر هو كائن {سبحانك فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} يعـني ادفـع عـذاب النـار. وقال الزجاج: معنى {سبحانك} أي تنزيهاً لك من أن تكون خلقتهمـا باطلاً {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ} أي صدَّقْنا رسلك، وسلّمنا أن لك جنة ونارا {فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ}.

{رَبَّنَـا إِنَّكَ مَن تُـدْخِلِ النـار فَقَـدْ أَخْزَيْتَـهُ} أي أهنتـه وفضـحته {وَمَـا للظالمين مِنْ أنصَارٍ} يعني: ما للمشـركين من مـانع من العـذاب إذ نزل بهم، ويقولون أيضـاً: {رَّبَّنَـا إِنَّنَـا سَـمِعْنَا مُنَادِيـاً يُنَـادِى للإيمـان}

يعني محمداً يدعو إلى التصديق {رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا} أي صدقوا بتوحيد ربكم، فآمنا أي صدقنا بتوحيد ربنا. وقال محمد بن كعب القرظي: ليس كل الناس لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن المنادي هو كتاب الله يدعو إلى الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله وأن آمنوا بربكم فآمنا {رَبَّنَا فاغفر لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سيئاتنا} وقال الكلبي: الذنوب الكبائر ودون الكبائر، والسيئات الشرك. وقال الضحاك: ذنوبنا يعني ما عملوا في حال الجاهلية، وكفر عنا سيئاتنا، يعني: ما عملوا في حال الإسلام. ويقال: الذنوب والسيئات بمعنى واحد. ويقال: الذنوب هي الكبائر، والسيئات ما دون الكبائر التي تكفر من الصلاة إلى الصلاة {وَتَوَفَّنَا مَعَ الابرار} أي مع المطيعين، ويقال: اجعل أرواحنا مع أرواح المطيعين والصالحين. ويقولون أيضاً: {رَبَّنَا وَءاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا على رُسُلِكَ} يعني أعطنا ما وعدتنا من الخير والجنة على لسان رسلك. ويقال: هو ما ذكر من استغفار الملائكة والأنبياء للمؤمنين، وهو قوله: {تَكَادُ السماوات يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ والملائكة يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى الارض أَلاَ إِنَّ الله هُوَ الغفور الرحيم} [الشورى: 5] وما ذكر من دعاء نوح وإبراهيم عليهم السلام للمؤمنين.

ثم قال تعالى: {وَلاَ تُخْزِنَا يَوْمَ القيامة} يعني لا تعذبنا، ويقال: لا تخذلنا {إِنَّكَ لاَ تُخْلِفُ الميعاد} يعني ما وعدت من الخير والثواب للمؤمنين {فاستجاب لَهُمْ رَبُّهُمْ} فأخبر الله عن فعلهم، وذكر ما أجابهم به وأنجز لهم موعده، وبيّن لهم ثوابه وهو قوله: {فاستجاب لَهُمْ رَبُّهُمْ}. روي عن جعفر بن محمد الصادق أنه قال من دعا بهذه الدعوات فإنه يستجاب له، لأنه قال تعالى: {فاستجاب لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مّنْكُمْ} يعني ثواب عمل عامل في طاعتي {مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى} يعني رجلاً أو امرأة. قال: حدثنا الخليل بن أحمد، قال: حدثنا الديبلي، قال: حدثنا أبو عبيد الله، قال: حدثنا سفيان عن عمرو بن دينار، عن رجل من ولد أم سلمة يقال له سلمة بن الأكوع، عن أم سلمة أنها قالت: يا رسول الله إني أسمع الله ذكر الهجرة، فذكر فيها الرجال ولم يذكر فيها النساء فأنزل الله تعالى: {أَنّى لاَ أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مّنْكُمْ مّن ذَكَرٍ أَوْ أنثى}. {بَعْضُكُم مّن

بَعْضٍ} قال الكلبي: أي بعضكم أولياء بعض في الدين. وقال الضحاك: يعني يشبه بعضكم بعضاً في الطاعة. ويقال: بعضكم على أثر بعض، ويقال بعضكم على دين بعض.

{فالذين هاجروا} من مكة إلى المدينة {وَأُخْرِجُواْ مِن ديارهم} يعني: أن أهل مكة أخرجوا مؤمنيهم من مكة {وَأُوذُواْ فِى سَبِيلِى} أي عُذّبوا في طاعتي {وَقَاتِلُواْ} مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المشركين {وَقُتّلُواْ} أي قتلهم المشركون. قرأ حمزة والكسائي: وقتلوا وقاتلوا على معنى التقديم والتأخير كقوله تعالى: {إِذْ قَالَ الله ياعيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الذين كفروا وَجَاعِلُ الذين اتبعوك فَوْقَ الذين كفروا إلى يَوْمِ القيامة ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ} [آل عمران: 55] وقرأ الباقون: وقاتلوا وقتلوا، إلا ابن كثير وابن عامر قرآ وقتّلوا بالتشديد على معنى التكثير والمبالغة، فذكر الله فعلهم، ثم ذكر ثوابهم فقال: {لاكَفّرَنَّ عَنْهُمْ سيئاتهم} أي لأمحون عنهم ذنوبهم ولأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار أي تجري يعني من تحت قصورها وأشجارها الأنهار {ثَوَاباً مّن عِندِ الله} يعني أن الجنات جزاء لأعمالهم من عند الله. وقال الزجاج: إنما صار نصباً لأنه مصدر مؤكد، معناه: لأدخلنهم جنات تجري من تحتها الأنهار، ولأثيبنهم ثواباً. وروي عن الفراء أنه قال: إنما صار نصباً على التفسير. {والله عِندَهُ حُسْنُ الثواب} أي حسن الجزاء وهو الجنة. ويقال: حسن المرجع في الآخرة خير من الدنيا.

تفسير الآيات رقم [196- 197]

{لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (196) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (197)}

لا يغرنك تقلب الذين كفـروا في البلاد} يقـول: لا يحزنـك يـا محمـد ذهابهم ومجـيئهم في تجـاراتهم ومكاسـبهم في الأرض. ويقـال: هـذا الخطاب للمؤمنين، ومعناه: لا يغرنكم تجارات الكفار وتصـرفهم في أموالهم في البلاد، لأن ذلك {متاع قَلِيلٌ} لأن الكفار كانوا في رخـاء وعيش، وكانت لهم رحلة الشتاء والصيف، وكان المؤمنون في ضيق وشـدة، فـأخبر اللـه تعـالى بمرجـع الكفـار في الآخـرة، وبمرجـع المؤمنين فقال تعالى: {لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الذين كَفَرُواْ} أي ما هم فيه من العيش والسعة، فإنما هو متاع أي يفنى بعد وقت قـريب. قولـه: {ثُمَّ مَـأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ} أي مصـيرهم إلى جهنم {وَبِئْسَ المهـاد} بئس موضع القراء في النار، وبئس المصـير إليهـا، فمـا ينفعهم تجـاراتهم وأموالهم.

تفسير الآيات رقم [198- 200]

{لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْـرِي مِنْ تَحْتِهَـا الْأَنْهَـارُ خَالِـدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْـرَارِ (198) وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِـعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْـرُهُمْ عِنْـدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (199) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْـبِرُوا وَصَـابِرُوا وَرَابِطُـوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (200)}

ثم ذكر مرجع المؤمنين ومصيرهم فقـال: {لَكِنِ الـذين اتقـوا رَبَّهُمْ} أي اتقـوا الشـرك والفـواحش، ووحّـدوا ربهم لهم جنـات تجـري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لا يموتون فيها، ولا يخرجون منهـا أبـداً {نُزُلاً مّنْ عِندِ الله} يقول: ثواباً من عنـد اللـه للمؤمـنين الموحـدين خاصة {وَمَا عِنـدَ اللـهِ} الجنـة {خَيْـرٌ لّلاْبْـرَارِ} من الـدنيا للمؤمـنين المطيعين {وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكتاب لَمَن يُؤْمِنُ بالله} يعني مؤمني أهل الكتاب، معناه من أهـل الكتـاب من آمن بالله فصـدق بقولـه {وَمَـا أُنـزِلَ إِلَيْكُمْ} من القـرآن وصـدق {وَمَـا أُنـزِلَ إِلَيْهِمْ} من التـوراة والإنجيل، يعني على أنبيائهم، فذكر حـالهم وبيَّن ثـوابهم لكي يـرغب غيرهم من أهل الكتاب ليؤمنوا إذا علموا بثوابهم.

ثم نعتهم فقال تعالى: {خاشعين للَّهِ} أي متواضعين لله، والخشـوع أصـله التـذلل وكـذلك الخضـوع، وقـد فـرّق بعض أهـل اللغـة بين الخشوع والخضوع، فقال الخضوع في البدن خاصة، والخشوع يكون في البدن والبصر والصـوت والقلب. كمـا قـال اللـه تعـالى: {يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الداعى لاَ عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الأصوات للـرحمن فَلاَ تَسْـمَعُ إِلاَّ هَمْساً} [طه: 108] وقال: {خاشعة أبصارهم تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى السجود وَهُمْ سالمون} [القلم: 43].

ثم قـال تعـالى: {لاَ يَشْـتَرُونَ بئايـات اللـه ثَمَنـاً قَلِيلاً} يعـني عرضـاً يسيراً كفعـل اليهـود {أُوْلَئِكَ لَهُمْ أَجْـرُهُمْ} أي ثـوابهم {عِنـدَ رَبّهِمْ} الجنة {إِنَّ الله سَرِيعُ الحسـاب} أي شـديد العقوبـة، ويقـال: سـريع الحفظ والتعريف {الحساب يَأَيُّهَا الذين ءامَنُواْ اصـبروا} أي اصـبروا على البلاء والجهاد وأداء الفرائض، وعن المعاصـي {وَصَـابِرُواْ} مـع نبيكم صـلى اللـه عليـه وسـلم على عـدوكم حـتى يـدعوا دينهم إلى دينكم، يعـني يـتركوا الشـرك ويـدخلوا في الإيمـان {وَرَابِطُـواْ} مـع عدوكم ما أقاموا، وهـذا قـول الكلـبي. وقـال عكرمـة: اصـبروا على البلاء وعلى طاعـة اللـه، وصـابروا أهـل الضـلالة، ورابطـوا الخيـول. وقال الزجاج: اصبروا على دينكم وصابروا على عدوكم، ورابطوا أي أقيموا على جهـادكم بـالحرب {واتقـوا اللـه} في جميـع مـا أمـركم ونهاكم. وقال القتبي: أصل المرابطة أن يربطـوا خيـولهم في الثغـر {لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} يقول: تفوزون وتأمنون النار وتنجون منها. ويقال: أصل الفلاح البقاء بالنعمة، ويقال: الفلاح أن يبلـغ الإنسـان نهايـة مـا يؤمل، والله سـبحانه وتعـالى أعلم. وصـلى اللـه على سـيدنا محمـد النبي الأمي، وعلى آله وصحبه وسلم تسـليماً كثـيراً إلى يـوم الـدين آمين.